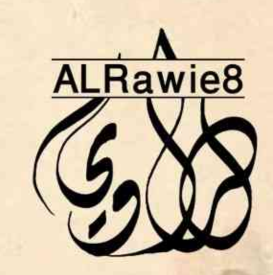
المكتبة السعودية

سلسلة تصدر عن جمعية الثقافة والفنون وتتناول موضوعات ثقافية متنوعة ٤

حكايات من الماضي

تأليف

محمد بن زبن بن عمير







تأليف

محمد بن زبن بن عمير

الطبعة الأولى ١٤٠٢

المكتبة السعودية

سلسلة تصدر عن جمعية الثقافة والفنون وتتناول موضوعات ثقافية متنوعة

الاهـــــــداء

الى كل من يهمـه ان يطـلع على
ماضيـه القريب ويأخـذ منه الجـانب
الايجابى ويرتفـع بنفسه عـن سلبياتـه
اهـدي هـذة الحكايات المتواضعه .

المـؤلف

١٢ / ٣ / ١٤٠٢ هـ

تقـــــديم

بقلم عبدالله محمد الشهيل

هذه الحكايات القصيرة التى يضعها بين أيدينا محمد بن زبن بن عمير نجدها رغم بساطتها وعفوية التناول حافلة بدلالات عميقة .

لأنها ترجمة صادقة وأمينة لواقعنا فى الماضى القريب حين كانت الشهامه عزة للانسان والتضحية مبعث عظمته والشجاعة رمز بطولته والكرم المجرد من الاغراض عنوان نبله ، يوم يخطف لقمته فى بيئة فقيرة مجدبة معزولة وعندما يحل عنده الاضياف ، يبذل بسخاء منقطع النظير حتى لو حرم عائلته الزاد لبضعة أيام غير منتظر مكافأة على ما قام به أو مفرق بين كبير وصغير وقريب وبعيد سوى الذكر الطيب وما تفرضه عليه واجبات القرابة وتقدير الكبار بأفعالهم .

يوم كان يهب لاغاثة المستغيث ويفزع لنجدة أخيه دون أن يحسب حسابا بالاخطار التى تحيق به بسبب ذلك أو يفكر بالعواقب ان خيرا أو شرا ، وهو يرى إنسانا قريبا أو غريبا يرسل صوته طالبا مساعدته وإذا وجد من غمز العربى بكرمه ،

سالباً منه صفة حسن التقدير فمثل هذا النفر لا يدركون طبيعة تكوين الانسان العربى فى مسلكه الانسانى الخلاق الصادر من لذة شعوره بالبذل والعطاء لا الأخذ والاستجداء لأن أروع ما يميز الانسان فى حياته مثاليته . وهذه افتقدتها أجناس كثيرة عجزت عن الوصول إلى ما وصل إليه العربى من سمو فعادوا كما هى طبيعة الضعفاء أمام شهواتهم ما عجزوا عن تحقيقه . وهكذا نجد أن صفات العربى المثالية قد انطبع عليها مجتمعنا وتميزت بها حياتنا وأننا إذ نكاد نحس بزوالها حاليا فلا تبدو لى أنها فى طريق الزوال لانها أصيلة فينا متغلغلة فى أعماقنا ومقيمة فى نفوسنا وما حدث لا يعدو إلا أن يكون مرحلة طرأت بظل ظروف انتقالية وتغييرات جوهرية من حال إلى حال شهدتها بلادنا سيما أن الصراعات الهامشية والخلافات المفتعلة التى عاشها من سبقونا أخرت لحد كبير نمونا الحضارى فكان للاستقرار السياسى الذى نحياه الآن والرخاء المادى الذى ننعم به والانفتاح المفاجىء بعد العزلة الطويلة ومشاهدة مالم نألفه واختلاطنا بمن اضطرتنا متطلبات التنمية والتصنيع والخدمات المختلفة الاختلاط بهم ، الأثر الفعال بعدما توترت بعض النفوس نتيجة تعقد الحياة وما هذه كما أرى سوى فترة عابرة سنعى بعدها الحقائق بعد أن تمر علينا مدة كافية تتبلور غضونها المفاهيم تبلورا يؤهلنا لمواجهة التحديات العصرية .

أن ما نأمله القدرة على الضبط من خلال التوفيق حتى لا نضيع . فالتقدم الحقيقى لا يتعارض مع القيم بل أنه يحث عليها ويشدد على استمرارها إلا أن الخوف مبعثه الجيل الجديد الذى نشأ فى زحمة اغراءات حياتنا الحديثة فأنه إن لم نغرس فيه قيم الماضى فسيسقط فى هوة الضياع حتما ولكن ليس باعتباره ماضيا سلبيا أو ايجابيا وانما باعتباره ملتقى للسلبيات والايجابيات من خلال التقييم حتى يكون منطلقا إلى مستقبل أفضل وتظهر صورتاه المشرقة والمظلمة .

وتختمر حقيقته فى أذهان أطفالنا وهذه مهمة غاية فى الاهمية والدقة وتنفيذها ليس سهلا لأنه يتطلب جهودا متكاتفة وتنسيقا وتفاهما بين البيت والمدرسة وأجهزة الاعلام بشتى أنواعها .

أما التأليف فى مثل هذه الموضوعات فالحاجة إليه أكثر من ملحة .. خاصة إذا تولاه ممن تتوفر فيهم الخبرة ويتميزون بالاختصاص ويملكون القدرة على الافصاح وعاشوا جانبا من الماضى دون تجمد عنده متطلعين إلى حياة عصرية تزخر بالمعطيات وتضىء أبصارهم من غير أن تحجب رؤيتهم للاشياء الجميلة وزميلنا محمد بن زبن بن عمير ابن بجدتها كما يقولون فقد نشأ فى أحضان الصحراء وترعرع فى طهر

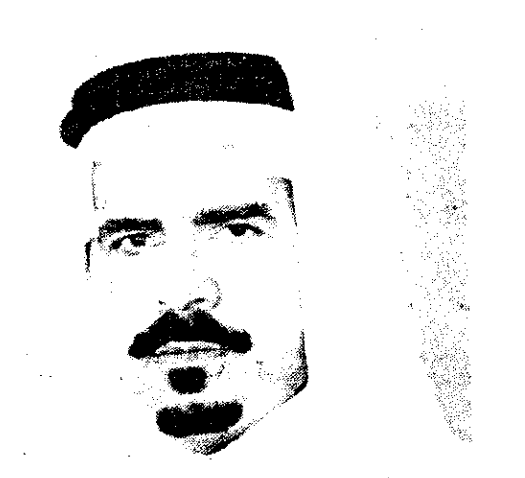
البداوة وذاق حلاوتها وتجرع مرارتها متفاعلا مع بيئته ومكونا علاقة وثيقة مع الطبيعة فأدرك بعقله مكونات محيطه وعرض الحضارة متكيفا معها ومختارا خير مافيها .

ونجح كمقدم برامج تلفزيونية عن البادية لها وقع فى نفوس الكثيرين وكصحفى برزت موهبته فى تحرير الصفحات الشعبية وأيضا عرفته عاملا نشيطا ضمن أخوته فى لجنة الفنون الشعبية بجمعية الثقافة والفنون كما أنه اكتسب خبرة فى شئون البلاد من خلال رحلاته العديدة فى مهمات رسمية وخاصة فجال بها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا بين البوادى وفى القرى والمدن فى أزمنة مختلفة جعلته يلمس مدى التغيير ويشاهد ببصيرته كثيرا مما يلفت النظر مميزا بين الصالح والطالح .

أنها حكايات يقدمها محمد بن عمير بطيبة البدوى وروحه وفق مفهومه النابع من قناعات تملكته متحولة إلى مبادىء ثابتة أملتها عليه فطرته السليمة . فرواها بأمانة واخلاص كما حدثت دون زيادة أو نقصان موضحا الاسماء فى المواقف الشريفة ومتجنبا التشهير بالأشخاص الذين كانت مواقفهم عكس ذلك وهم على كل حال قلة لأن صفة الوفاء فى مجتمعنا غلبت صفة الغدر .

رواها بصدق مسجلا دون تزويق ومبالغة ما سمعه وشاهده وان حدثت مبالغات فانه يسندها إلى الراوى أو يقسم بلهجة تشعرك بصدقه ، الأمر الذى يجعل قيامه بهذا العمل مبادرة محمودة وبداية طيبة نرجو أن تتلوه أعمال تلبى حاجات تسد نقصا فى تراثنا الشعبي .. والله ولى التوفيق ،،،

عبد الله محمد الشهيل



تمهيـــــــد

ربما يتصور القارىء الكريم ان هـــذه الحكايات من نسج الخيال أو أنه مبالغ فيها على الأقل ولكننى أؤكـــد لكم أن هذه الحكايات واقعية ١٠٠ ٪ بل انني لم اسهب فيها رغم احقيتها لذلك ولكن حتى لا يكون للشك مجال فيها اختصرتها قدر الاستطاعة . أما لماذا اوردت هذه الحكايات فلا أنها تحكى ماضينا القريب المرتبط بماضينا البعيد . وما دام أنها تحكى شيء من ماضينا فارتباطنا بها وثيق ويجب أن نحفظها وندرسها وندرسها لابنائنا وان كنا لا نريد أن يعمل ابنائنا بالجانب السيء منها ولكن نحظهم على تعلم الطيب واجتناب عكسه وهذا سبب من أسباب إيراد هذه الحكايات أما السبب الثانى وهو الأهم ليعلم أبنائنا أننا لم نولد وبأفواهنا ملاعق من ذهب كما يقولون بل أننا اناس عانينا ماعانيناه من الفقر المدقع والمشقة فى سبيل الحصول على العيش الكريم إذ كانت سياراتنا الفخمة الجمـــل والفرس والحمار ومـــا ذلك إلا

للذين أنعم الله عليهم أما البقية وهم الغالبية العظمى فأنهم لا يملكون لا هذه ولا تلك بل يجوبون البرارى والقفار وينجعون من مدينة لاخرى مشيا على الاقدام أما لقضاء بعض الحاجات أوللبحث عن الوزق الحلال غير أن هذه المزايا لم تحل من اخلاقنا وتعاملنا مع الناس ولم تحط من قيمنا بأى شكل من الأشكال بل كنا نتصف بالمرونة والشجاعة والكرم والوفاء والصدق وحفظ الامانة وحسن الحوار إذ كنا نجتمع ببعضنا فى كل ليلة عكس ما كنا عليه الآن حيث لا نرى بعضنا إلا فى الاسواق أو العمل الحكومى أو عمل المؤسسات والورش .. ويتضح للقارىء الكريم ان هذه الخيرات التى نعيش بها والامن الذى يسودنا والمدارس التى تحتضن أبنائنا داخل وخارج المملكة لم تكن متوفرة لأبائنا من قبل .. وما هذه الطفرة الاقتصادية التى نعيشها الآن إلا نتيجة لجميع شملنا وتوحيد كلمتنا وتكاتفنا خلف هذه الحكومة التى لا يوجد مثيل لها فى سائر انحاء العالم حتى الدول التى تدعى الديمقراطية وحرية الفرد فانها تعجز واقوله بكل فخر أن تعمل مثلما عملته حكومتنا الرشيدة منذ تأسس الدولة السعودية المجيدة بدليل بسيط جدا أن الدولة السعودية أعطت الكثير والكثير جدا لابناء شعبها فهى وضعت للفقراء والأرامل والأيتام مصلحة الضمان الاجتماعى الذى استطاع أن يحقق للمواطن كل ما يصبو إليه من عيش رغيد وهناء

بهذه الحياة ضف لذلك ما تقوم به الدولة من دفع اعانات للتجار المستوردين لأنواع الأطعمة بشتى أنواعها وما تدفعه من اعانات لمربى الماشية ومزارعى الحبوب والنخيل ان هذه الميزات لا توفرها لمواطنيها أى دولة كانت ولاحتى بالنزر القليل والقليل جدا ناهيك أن المواطن أى مواطن يستطيع أن يقابل أكبر شخصية فى البلاد وهى شخصية جلالة الملك دونما حاجب يحجبه أو واسطة توصله إليه ويستطيع المواطن مقابلة أى شخص بالحكومة ويبثه شكواه ويأخذ حقه وافى غير منقوص .. أن هذه الصفات وأقولها مرة أخرى لا تتوفر فى أى حكومة كانت إلا هذه الحكومة .. ولهذا السبب أوردت هذه الحكايات ليكون أبننا الصغير على بينة من ماضيه القريب والبعيد عسى أن يكون ماهدفت إليه نافعا وهذا ما أرجوه . بقى أن يعلم القارىء الكريم اننى لم أرجع فى هذه الحكايات إلى مدنونات تاريخية وانما اعتمدت على الله وما استطاعت ذاكرتى ان تحفظه عن رواية والدى يرحمه الله وبعض من احتكيت بهم وما قصدت من هذه الحكايات إلا ليعلم القارىء من خلالها كيف كنا وماذا أصبحنا عليه الآن .. والله من وراء القصد .

المؤلف

لا تمارضوا

عرفنا ان هناك فقرا مر بأهل هذه البلاد فى الخمسينيات استمر لما بعد الستينات شمل الحاضرة والبادية وعلى أثر ذلك أمر جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه بوضع ضيافة عامة للمواطنين نساءا ورجالا على حساب الدولة وكانت تسمى هذه الضيافة (بثليم) وكان من مهامها الطبخ وتقديم الطعام للوافدين عليها ظهرا ومساءا أى وجبتى الغذاء والعشاء ومن المواطنين من يتناول طعامه داخل مبنى الضيافة ومنهم من يأخذه بوعاء لاهله وذويه المهم أن هذه الضيافة سدت حاجة الناس المحتاجين لها من الطعام وكان فيها مكانان مخصصين الأول للرجال الأقوياء البنية والثانى لمكفوفي البصر اضافة لبوابة النساء اللاتى يتناولن الطعام بأوعية ويذهبن بها لمنازلهن وفى أحد الأيام أتى للضيافة رجل أعرفه وأعرف قبيلته ولكن لا داعى لايضاح اسمه خشية التشهير به أتى للأكل بهذه الضيافة وتظاهر أمام الناس والمسئولين عن الضيافة بانه كفيف البصر حيث أخذ معه عصا يتوكأ عليها لاثبات فقدانه للبصر وقد نجحت خطته تلك حيث أدخل ضمن مكفوفى البصر فى جناحهم الخاص على وجبة الغداء طمعا منه بأن يحصل على

طعام أفضل من الطعام الذى يقدم للرجال الاقوياء البنية المهم أنه جلس مع مكفوفى البصر كما اسلفت وعندما قدم لهم الطعام تناول مالذ وطاب له من الطعام لانه يرى بعينيه عكس الجالسين معه على المائدة الذين يأكلون عن طريق اللمس وعندما انتهى من الطعام وأراد أن يغسل يديه ونهض من الطعام واقفا وإذا به كفيف البصر فعلا لا تصنعا أنها بلا شك القدرة الإلهية البحتة التى اعطته على قدر تفاؤله وهده الحادثه كلما أذكرها أذكر معها الحديث الشريف (لا تمارضوا فتمرضوا فتموتوا) وقد استمر المذكور كفيف البصر حتى توفاه الله بعد عمر طويل ولا نحن من الشامتين سقت هذه الحادثة ليتعظ من يتعظ والله بصير بعباده .

للرجال مواقف

من المعروف أن للزمان قسوة ربما تجاوزت حدود اللامعقول فى بعض الأحيان ففى فترة من فترات تاريخنا مر بأهل البلاد شيء من العوز والحاجة للقمة العيش ولكن هذا لم يخضعهم لذل السؤال أو يحط من قيمهم عند الآخرين إذ كانوا أقوياء أشداء أشد من زمانهم . يحصلون على هذه اللقمة بقوة الزند والسلاح عندما يتطلب الأمر ذلك . وفى أثناء تلك الفترة كان هناك مجموعة من رجال قبيلة عنزة وبالتحديد من ولد سليمان اتخذوا الغزو سبيلا للحصول على لقمة العيش رغم ما يمر بالناس من فقر مدقع إذ تتالت الدهور وهلكت الماشية ونفذت من أيدى الناس . ومعنى ذلك ان الغازى للحصول على الماشية لن يجد عند الآخرين ما يشفى غليله ويبرد ظمأته . قلت ان هؤلاء القوم ساروا من أهلهم بقصد الغزو على قبيلة مناوئة لهم لغرض الكسب من ماشيتهم وفى أثناء طريقهم مروا بأرض قوم من قبيلة عنزة أيضا فاراد الغزاة أن يضيفوا على اقرب بيت يواليهم لأنه لا يحق لهم بالعرف القبلى تجاوزه وضيافة غيره من البيوت المتناثرة هنا وهناك طالما أنهم أرادو الضيافة فأناخوا ركابهم

عند البيت الموالى لهم وهو من أكبر البيوت الموجودة فى هذا النزل مما يوحى لهم بأن صاحب البيت من أغنياء النزل أو من أشهرهم مكانة . قلت النزل ولم أقل الحى لأن البادية عندما يحطون رحالهم فى الصحراء يقال لهم نزلوا أو نزل آل فلان ولا يطلق عليهم فى هذه الحالة كلمة حى لأن الحى عند العرب مجموعة من المنازل المبنية من الطين أو ما شابهه المهم أنهم أضافوا على أهل البيت الموالى لهم وكان فى لحظتها صاحب البيت غير موجود إذ يقوم أو يغيب عنه برحلة بعيدة ربما كانت للتزود بالطعام . وكان الموجود بالبيت ربته فقط التى رحبت بالضيوف وادخلتهم لمجلس الرجال واحضرت أوانى القهوة ووقود النار وعادت لتبحث لهم عن شىء تقدمه كغذاء لهم ولكن مساعيها فشلت إذ كل المحيطين بها على شاكلتها وعادت لبيتها وضيوفها وهى تتجرع الحسرة على عدم توفر أى شىء لها تقدمه .. لضيوفها الذين لم يضيفوا عندها إلا لتناول الطعام وامام هذا العجز سكبت دموعها على خديها كوابل المطر فانتبه رئيس القوم المدعو صياح المرتعد لما جرى لمضيفته وقال لماذا البكى قالت صاحب البيت غائب في رحلة بعيدة والمرأة حضرتها مافيها بركة تقصد نفسها لانها تعجز من القيام بواجب الضيوف إذ لم يتوفر فى بيتها ما تقدمه لهم . فقال رئيس القوم صياح المرتعد لا تهتمى أنت البركة كلها واللى ما يتوفر اليوم يتوفر غدا والدنيا وما فيها

زائل إذا ما قدمت لنا اليوم شيئا فالمرة الثانية يكون متوفرا وتقدمينه لنا ولا يكون بخاطرك إلا الزين نحن ضيوف على عجل لا نستطيع الاقامة عندكم أكثر من الوقت الذى أمضيناه فى هذا البيت لان نيتنا بعيدة أى المسافة الذاهبين لها . وأمر أصحابه بالرحيل تلافيا لاحراج ربة البيت وسلكوا طريقهم حتى تجاوزوا هذا المنزل واناخوا ركابهم على مايسر الله لهم فى تلك الليلة ومضوا فى طريقهم صبيحة الغد . أما صاحبة البيت فقد عاد زوجها من رحلته وأخبرته بما حدث فسألها هل عرفت اسم رئيس الضيوف فقالت نعم انه صياح المرتعد من قبيلة عنزة من ولد سليمان فما كان من صاحب البيت المدعو على السرحانى إلا أن أمسك باحدى نياقه الغالية ووضع وسم صياح المرتعد (العلامة المميزة) له وأشهد من حوله من الرجال بأن هذه الناقة لصياح المرتعد عوضا عن وليمة عشائه الذى لم يتناوله فى وقته بسبب غيابه من ناحية وقلة ما باليد من ناحية أخرى ومرت السنون وأنجبت الناقة وصارت أما لعدد من الإبل وقد عمد على السرحانى على وضع وسم صياح المرتعد على سلالة هذه الناقة على انها من بنات ناقته الخاصة به والتى حصل عليها دون علمه مقابل ضيافته على بيت على السرحانى أثناء غيابه ومكافأ له من ناحية امساك صياح للسانه عن القيل والقال فى غفلة السرحانى لأن من عادة الضيوف قليلى الذوق إذا لم يقدم لهم وليمة مرضية يشرعون

في ذم مضيفهم لعدم اكرامه إياهم أما صياح المرتعد فانه لم يكن من هؤلاء بل أدعى أمام الناس انه نال من الاكرام ما يفوق الوصف من لدن على السرحاني حفاظا على سمعته ومكانته القبلية وأخيرا التقى على السرحاني بصياح المرتعد وقال له هذه الابيات :

يالمرتعد واجبك حق وصائب
حق على اللى يفهمون المواجيب
وسمتها بحضور كل القرائب
ذبيختك يامنقع الجود والطيب
لو مابغينا ما علينــا غصائب
لاشك ضيف البيت له حق ومصيب
يفداك منهو ضارين للسبائب
لاضاف علق بالمعتزب كلاليب
جماله ياشوق ضاف الذوائب
وذي عادة الطيب بستر المعازيب

وهنا أفاده بأن وسم إحدى نياقه كضيفه له من ناحية وكعرفان بجميل تكتمه على هفوة المضيف حتى وان كان غائبا عن بيته فارد المرتعد بالأبيات التالية موضحا له أن النياق مقسومة من الآن بين المضيف ومضيفه وأهل بيته وأشاد بأبياته تلك بطيبة ربه بيت على السرحانى وان من جرب قساوة الدنيا لا يمكن أن يشنا أى يذم الناس .. الأبيات :

الطيب في وجه المشبب وهائب
وطيب الفتى من عند ربه مواهيب

ثلث لنا وثلثن لبيتك حلايب
مقسوم بين الضيف هو والمعازيب

ومعزبتنا ياعلى وأَنت غائب
نشميه تسوي كثير الرعابيب

من جرب الدنيا يعرف النوائب
تراه ما يشنا ولا يذكر العيب

واللى يسب لشبعه البطن خائب

أَصل القراء زين النبا والتراحيب

القصة أعلاه أخذتها عن الزميل والصديق إبراهيم اليوسف مقدم برنامج البادية فله منى الشكر والعرفان بالجميل.

الشيخ عبد الكريم الجربا والحرامى

عرف الشيخ عبد الكريم الجربا من مشايخ قبيلة شمر بالكرم اللامحدود حتى فى أحلك الأوقات وأعصبها إذ لم يذكر عنه أنه أتاه ملتمسا لفضله واعاده خالى اليدين مما جعل الناس أن يسموه بأبى خوذة لأنه لا يعرف أن يقول لا للمستجدى به لانه فى هذه الحالة لا يقول إلا خذ ومن الروايات التى حبكت حول كرم هذا الشيخ وتسامحه عن الغير حتى وان كان ذلك الغير يقصد الاساءة بالجرباء نفسه . ففى إحدى الليالى انطلق أحدهم لغرض الكسب من إبل عبد الكريم الجرباء على غفلة منه وعندما وصل لمراح الإبل (موقع مبات الإبل) رأى أنه ليس من المناسب أن يعثو بالإبل فى لحظتها لأن أغلب رجال النزل لا يزالون يتجاذبون أطراف الحديث ولم يناموا بالسرعة التى كان يتصورها الحائف أو الحنشولى وكانت تلك الليلة من ليالى الشتاء الباردة التى لا يستطيع فيها أى انسان أن يبقى نفسه من البرد القارس إلا باحدى طريقتين أما الأغطية الجيدة أو اشعال النار وهاتين لم يتوفرا للحنشولى فى وقتها . وطال به الانتظار وشددت البرودة قبضتها عليه ففكر فى مخرج من ذلك فرأى ان من

الأفضل له العدول عن السرقة واللجوء لبيت الحرباء بدلا من سرقة إبله حتى ينجو بنفسه من البرودة الزائدة فدلف لداخل البيت وأوقد النار فاستيقظ عبد الكريم على ضوء اشعاعها ونهض من محل نومه واتجه إلى مجلس الرجال حيث توقد النار لمعرفة الضيوف الذين حلوا لتوهم على بيته دون علمه وصاروا يوقدون النار لغرض ايقاظه من النوم فلما أطل بنفسه على المجلس وجد هذا الشخص لوحده وسأله ، من أين أتيت بعد أن حيا به فقال انه أتى لغرض الكسب من إبله ولكن يقظة رجال النزل وبرودة الجو حالا دون تحقيق رغبته وانه اتجه للبيت لانقاذ نفسه من برودة الجو وما أراد أن يفعله الحرباء بعد ذلك يفعله فقال عبد الكريم الحرباء خذ هذه الفروة احفظ نفسك بها من البرد وإذا أصبحنا أفلحنا وانصرف لمكان نومه فلما أصبح الصباح واجتمع القوم ببيت عبد الكريم الحرباء جريا على العادة قال الحنشولى هذه الأبيات :

البارحـــة ما هى من البارحاتى
من واهج ينفخ على البيت ويزير

البل تناحت كـــن فيها اطلاتى
والا تحش اعضودها بالمناشير

لولا أبو خوذه كان هذا مماتى
في سهلة ما ينوجد به حفافير

عطيته ما هى من البيناتى
فروة وعده عازلن لى مغاتير

أوضح فى هذه الأبيات برودة الجو بطريقة شعبية مدفونة . . كما أشاد بالحرباء والفروة التى وهبها له وكأنها قطيع من الإبل بل هى أفضل وأحسن من ذلك فى تلك الليلة .

نعود لنفس الموضوع فلما استمع الحرباء لابيات الحنشولى قال ان الإبل التى غزيت من أهلك بطلبها قد كانت من نصيبك فهى هبة لك ولن يحول بينك وبينها أى حائل فسمعت أم الحرباء هبة أبنها غير المشروطة وغير الواجبة فى نفس الوقت للحنشولى ودفعها حب المال أن تبدى معارضتها على هذه الهبة فقالت لا ياعبد الكريم أنك اعطيته فروتك وانقذت حياته من البرد وعفوت عنه وهو الذى أتى لسرقتك فكيف تعطيه إبلك وهو المطامع بها بالغدر فقال عبد الكريم أجل يا أماه لماذا اسميتينى عبد الكريم ؟ ويأبى عبد الكريم

الرجوع عن هبته ويستاق الحنشولى الإبل بكاملها هبة لا سرقة وهذه بحق مفخرة من مفاخر العرب حيث العفو عند المقدرة والكرم اللامتناهى ..

هذه القصة بعث بها الأخ منصور بن سلامه البراق من الطائف وقد سيقت بتصرف منا . أشكر لمنصور مساهمته الجيدة

عافت الدنيا واهلها وغاليها

ميزة العربى . . انه حريص كل الحرص على معرفة حسبه ونسبه ان كان من أرومه ذات حسب ونسب لكونه يفتخر بذلك ويتباهى امام الآخرين بانتسابه لهذه الأرومة أو القبيلة على الأصح ولهذا السبب تجد انه يقوم بتعداد أجداده الواحد تلو الآخر حتى يصل بنفسه لهذه الأرومة أو تلك القبيلة المفتخر بها ومن هذا المنطلق يكون الارتباط الاسرى قائم بين أفراد القبيلة أى قبيلة وهذه بلا شك مفخرة للانسان العربى لأنه دايم الصلة بلحمه ودمه .

ولكن هناك فى نظرى هفوة صاحبة تلك الميزة . تمنيت أنها لم تكن وهى ما يعرف بالحجر والتحجير أو الاحتكار . بمعنى أن يتسلط ابن العم على ابنة عمه ويحتكرها لنفسه دون غيره من الناس حتى وان كانت ابنة العم لا تقبل معاشرته أو مخالطته بأى صورة كانت ربما حتى بالمحادثة داخل المنزل أو خارجه ولعل ما حدانا بالاشارة لتلك الهفوة أن صح التعبير ما جرى لسارة السبيعة التى حيرها لنفسه ابن عمها وأراد أن

تكون زوجته ورفيقة حياته رغم أنها أعلنت له أكثر من مرة بعدم رغبتها فى معاشرته مهما كانت الظروف المحيطة بها التى تعرف أنها ستساعده فى نيل يدها ان هى أبت أن تكون رفيقة حياته التى أختارها لنفسه دون غيرها من فتيات القبيلة . فسارة هذه ذات حسب ونسب وعلى قدر كبير من الجمال فوق ماتتصف به من سلوك حميدة وأخلاق جيدة مما جعل شباب قبيلتها يتهافتون على والدها لطلب يدها مما جعل ابن عمها من باب الغيرة أن يفرض عليها حجره خشية فواتها عليه لأحد طالبى يدها . وما أن علمت سارة بذلك الحجز من ابن عمها حتى أعلنت له عدم موافقتها على الزواج منه مهما طالت فترة فرض الحجر ولكن والد سارة يرى انه من الواجب أن تكون سارة من نصيب ابن عمها وان يقبل بالحجر المفروض على ابنته جريا على عادات وتقاليد القبيلة بل القبائل وما هى إلا سنوات قليلة تمر على فرض الحجر على سارة حتى ترى نفسها زوجة لابن عمها رغم عدم قبولها ذلك إذ .. يتم عقد قرانهما وتبلغ سارة بليلة زواجها منه حيث قد اجتمع القوم على منهل الحفر فى أيام فصل الصيف وانقضت فترة الحل والترجال وتبقى سارة فى حيرة من أمرها ماذا تفعل ؟ أمام اصرار والدها على الزواج من ذلك الشخص الذى تكره سارة أن يكون

رفيق حياتها ودربها الطويل وأخيرا تختار الموت على ذلك الزواج وفى أصيل يوم من الأيام ترى ان بئر الزيدى لاوجود للرجال عليه وانما عليه بعضا من النسوة وتتناول وعاء تضعه على رأسها وتتجه لبئر الزيدى المعروف فى بلدة رماح وهو بئر غزير الماء من سبائل جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وبئر الزيدى تقول عنها البادية ما شبع من الدهناء أرواه الزيدى .. لأن ماءه لا ينضب بمعنى ان المواشي التى ترعى فى نفوذ الدهنا يكفى ماء الزيدى لسقياها لوفرة مائه عن الآبار المحيطة به فى رماح ..

قلت فى سياق حديثى منهل رماح استنادا إلى أنه منهل حينذاك لا مسكنا كما هو عليه الآن إذ يعتبر فى وقتنا الحاضر من أكبر القرى حيث يكتظ بالسكان وبه عدد من الدوائر الحكومية مثل الامارة والشرطة والبلدية التى قامت بتخطيط أراضيه تخطيطا حديثا والبريد والبرق والمدارس والصحة وشيدت به العمائر والفلل حتى أصبح من أكبر القرى المرتبطة إداريا بأمارة منطقة الرياض وعلى أى حال لا شأن لنا بذلك لاننا نتحدث عن قصة سارة التى أخذت وعاء الماء . ووردت لبئر الزيدى بحجة أنها ستزود أهلها بالماء ولكن ذلك لم يخطر ببالها إذ أنها اختارت الموت على الزواج من ابن عمها ورمت بنفسها فى قلب بئر الزيدى التى يبلغ عمقها خمسة

وثلاثين مترا تقريبا . واثر سقوطها علا صياح .. النسوة اللائى يتزودن بالماء من البئر المذكورة عندما رأينها تهوى فى قلب البئر .. وانطلق الرجال من البيوت نحو البئر ونزل منهم بالحبال من نزل واخرجوا سارة من البئر التى وجدوها لم تصب بأى أذى وبالطبع هذه سلامة من الله وكان من ضمن الحاضرين عند خروجها من البئر والدها وابن عمها الذى فرض الحجر عليها واختارت الموت على اللقاء به وسئلت من قبل الحضور عن سبب سقوطها وافادت انه انقـــاذا لنفسها من الحجر المفـــروض عليها وبالتـــالى الزواج من المحجر وما ان سمع ابن عمها منها ذلك حتى قال ما بعد هذه الحادثة وفاق بيننا يا سارة فأنت طليقة من الآن من حجرى ولك حق الاختيار بالزواج وشكرت سارة لابن عمها ذلك واوت إلى من اختاره قلبها وانتهت من الموقف المحرج وقال شاعر من شعراء سبيع يدعى بادى القريشى بعد هذه الحادثة :

زين سلمن قدته للبنى سارة

من بلى بالروح يمشى مماشيها

بنت هيف الضأن ماهيب صبارة

عافت الدنيا واهلها وغاليهـــا

جت تخطأَ العصر للموت مختاره
وطبحت باللى بعادن مداليها

رجلى اللى من حفا الحزم جبارة
من حصاة الحزم حفيت مواطيها

لا ولد عم ولا نيب حجاره
بس كلمة حق والواجب أَبديها

استدراك

والكتاب قد شرع بطباعته ابلغنى صحن بن غنيم بن شويه بأن ساره هذه شقيقته وانها لاتزال حية ترزق حتى يومنا هذا وقد انجبت رجال افاضل .

القديم عديم

حدثني الاخ عناد المطيري يقول كان به رجلا يدعى بشر يعيش مع والدته وزوجته التي يكن لها كل حب وتقدير وهي تبادله نفس الشعور كزوجين ارتبط بعضهما بالآخر ولكن والدته لا يعجبها ذلك الحب المتبادل بين الزوجين ربما خشية أن يتمكن حب الزوجة في أعماق قلب أبنها وبالتالي تجد الزوجة طريقا سهلا تعبر معه للانفراد بزوجها أو ربما أن والدته لا تستسيغ مخالطة ومنادمة هذه الفتاة المدعوة حسن لسبب من الأسباب جوهرية كانت أم غير ذلك الأمر الذي دعاها أي الوالدة بأن تسعى لفراقهما ولكن بطريقة غير شريفة وأن كانت مقنعه لابنها أرغاماً لا طوعا واختياراً . ففي ليلة من الليالي عندما حضر ابنها من رحلة كان يقوم بها وكان شغوفا بلقاء رفيقة حياته بعد تلك الغيبة غير أن والدته تحول بينه وبين ذلك اللقاء إذ تفاجئه قائلة :

يابني كم نصحتك عن مرافقة هذه الفتاة ولم تعر نصائحي أي اهتمام ولكن هذه المرة لا انصحك بل أفيدك بما شاهدته بأم عيني أنه يرتادها رجل قصير القامة كبير الهامة ليس عليه عمامة ولا يتصف بصفات الشهامة فأسألها عن

حياته ومرامه أن كنت صاحب كرامة وهذا بالطبع زورا
وبهتانا حاكته لتضمن به فراقهما . فقال بشر وهل أنت
متأكدة مما تقولين يا أماه فقالت : نعم فاتجه لزوجته حسن
وأعلن لها فراقها دون ابداء سبب لها وأمرها بأن ترحل هذه
الليلة إلى أهلها وذويها . فما كان منها إلا أن امتطت قدميها
واتجهت لاهلها وذويها ولم يرافقها في هذه الرحلة التى
فرضها عليها رغم وجوب ذلك عليه واستمرت فى سيرها
حتى أعياها التعب والارهاق فأرادت أن تخلد للراحة
وسلمت نفسها لسلطان النوم وفيما هى تغط فى نوم عميق
وإذا بها تحس بصوت مجموعة من الرجال يمرون بالقرب
منها فخشيت على نفسها وانوثتها وتسلقت إحدى الأشجار
الكبيرة القريبة منها عسى أن لا يراها أحد منهم ويحصل
مالا تحمد عقباه لكونها فى عزلة عن الناس ولكن ذلك لم
يكن إذ رآها قائد الحملة المسمى بابن حمرون فطمع بها وتقدم
باصحابه حتى لا يروها وعندما تجاوزها بمسافة لا تمكنهم
من رؤيتها فيما لو سلطوا انظارهم نحو موقعها الذى تختبىء
فيه قال ابن حمرون لاصحابه انى قد نسيت حاجة لى فى
موقع مباتنا ليلة البارحة وسأعود إليها والحق بكم ولكن
استمروا بالسير ولا تنتظرونى فصدقه الجميع وعاد ادراجه حتى
وصل للشجرة التى تلوذ بها حسن فقال انزلى عن الشجرة ،
فقالت لا بأس ولكن بشرط أن ترمى بسلاحك بعيدا فانى

اخشى من منظر السلاح فقال ولك هذا فرمى به وقالت ابتعد أنت أيضا عن الشجرة ناحية معاكسة لموقع السلاح فقال لك هذا أيضا . فنزلت وأخذت سلاحه بيدها وقالت الآن ماذا تريد منى قال : أريد أن أسعفك ليس إلا .. فقالت : ولكنى لم أطلب ذلك منك .. قال : ان رغبتى مساعدتك فانى لم أعد إلا لهذا الغرض وان لم ترغبى تركتك رشأنك . قالت : عاهدنى على ذلك . فعاهدها . فتمنطقت بسلاحه وركبت معه على راحلته وعبرا طريقهما للحاق بأصحابه وفى أثناء ذلك طلب منها أن تخبره قصتها فأخبرته فرق لحالها وأعجبه كمالها وجمالها فطلب منها أن تهبه نفسها على سنة الله ورسوله فوافقت ولحق بأصحابه واستمر الجميع بالسير حتى وصلوا مرابع قومهم وتم زواجه بها ومرت الأيام بل السنون وعلم زوجها بشر بما حصل لها ولكنه لم يعر ذلك أى اهتمام بحكم انتهاء علاقته بها بأسباب افادة والدته التى هى الآن ترزخ تحت وطأة المرض وفى خلوة مع نفسها تناجى ربها وتقول يارب اننى لم اقترف أى ذنب إلا ما فعلته ضد حسن فاعف عنى فسمع ابنها بشر مناجاتها فقال : ماذا اسمع منك يا أماه فأخبرته حقيقة الأمر وان الداعى الوحيد لذلك الحرص الشديد على بقاء بشر إلى جانبها لا يشاركها فيه مشارك فندم على تعجله وشد رحاله إلى حيث يقطن ابن حمرون وزوجته حسن وعندما وصل إليهم قام ابن حمرون باكرامه كضيف

يحق له الاكرام وودعه ليخلد للراحة عند أهل بيته وبقى الضيف وحيدا فأنهمرت عيناه بالدموع صاحبها بكاء ونحيبا حيث شعر ابن حمرون بذلك وقال مخاطبا زوجته .

تعينى ياحسن قــومى تعينى

تعينى بالضــيف ويش ابكاه

ان كان مضيوما حميناه بالقنا

وان كان جيعانا على اقــراه

فسمع الضيف كلام ابن حمرون وقال :

ياحسن ما تجزين من جاك عانى

من الشام وخلا والديه ... وراه

فأخذ ابن حمرون السيف وانطلق إليه فاعترضت سبيله حسن وقالت :

خله يابن حمرون يابارد القرا

انتة وما ضم الفؤاد افـــــداه

فقال ابن حمرون هل هذا بشر .. ؟ فقالت نعم انه هو .. فقال :

ترى من عندي لبشراً عطيـه
عطا صبين ما يمن عطـاه

ان كان رفيقك ما يصافيلك بالهدي
خلة اليا صار الفراق مـداه

فاجتمع الشمل بعد الفراق وانقضت فترة الشوق ، والاشتياق وصارت الدنيا فى قلبيهما حلوة المذاق واتضح الصدق وغار النفاق .

الوصية

تقدم به العمر ومكن الزمان منه مخالبه ولا شيء أحب إليه فى هذه الحياة من ابنه الوحيد من الذكور الذى يرقب تحركاته عن كثب ويرى ان الأيام لا تسير بسرعة لان ابنه لم يكبر فى عينيه وهو ينتظر على أحر من الجمر ليراه شابا يافعا يستطيع أن يشق طريقه دون عون من أحد ولكن نفس الطريق الذى اتخذه أبوه فى عنفوان شبابه وكهولته لانه أمسك بزمام نفسه من سفاسف الأمور ومزالق الهوى الذى غالباً مايودى بالنفس إلى الهاوية ولهذا أراد أن تكون خطوات ابنه على نفس تلك الخطوات التى ارتضاها لنفسه . وفى ذات يوم من أيام يأسه قال لابنه الوحيد محمد يابنى أوصيك بأن لا تأمن السلطان ولا تناسب البخيل ولا تفشى سرك لامرأة مهما كانت منزلة هذه المرأة من نفسك : وتقبل محمد الوصية من والده بصدر رحب رغم عدم قناعته بها . ومرت الايام وانتقل والد محمد لمثواه الأخير وبقى محمد يصارع هذه الحياة وحيدا وصارت هذه الوصية شغله الشاغل . هل يتبعها ويتمسك بها أم يخالفها ويرى ماذا يكون فى مخالفته ويدنو من اعتاب بلاط السلطان فى ذلك الحين حتى صار أقرب الاقربين إليه

واشتهر أسمه وذاع صيته بين الناس وهنا يكون قد نفذ أول مخالفة لوصية والده وشرع فى التفكير فى تنفيذ مخالفة بقية الوصية ولكن لم يطل التفكير به إذ استدعى ابخل واغنى رجل من أقاربه وزوجه شقيقته الكبرى واستدعى أكرم وافقر رجل من أقاربه وزوجه شقيقته الثانية وبهذا يكون نفذ مخالفة الوصية الثانية وبقيت الوصية الثالثة التى احتار فيمن تكـــون بطلتها واخـــيرا يهتدى إلى أن والـــدته الحنون هى مـــن سيفشى عليهـــــا السر ويتطـــاول محمـــد عـــلى قصر السلطان ويختطف نعامته ويخفيها فى مكـــان آمن وينحر لوالدته خروف ويقدم لحمه على أنه لحم نعامة السلطان وان عليها أن لا تخبر أحدا بذلك لأن السلطان لو علم سيفعل فعلته وسيحدث لمحمد مالا تحمد عقباه هكذا اقنع والدته واشعرها بجسامة المسؤلية وأكدت والدته بأن لا يهتم من ناحيتها فحرصها عليه يفوق حرصه على نفسه كما تقول والدته فى تلك اللحظة .

وما أن نضج اللحم حتى أخذت والدة محمد شيئا من اللحمة وقدمته لشقيقتها وجارتها فى نفس الوقت وقالت لها أن هذه اللحمة من لحم نعامة السلطان احضره محمد خلسة ولكن إياك أن يطلع أحد على ذلك . وأبدت الخالة الحارة استعدادها لكتمان الأمر عن كائن من كان .

أما السلطان فانه فقد النعامة بعد مرور وقت وجيز على اخفائها وبحث عنها وأتى من أخبره بأنها لدى محمد وبالطبع أخذ الخبر عن طريق الأمرأتين اللتين هما أقرب الناس لمحمد . فاستدعى السلطان محمد وكلفه باحضارها فورا وقال محمد أنها غير موجودة ليرى ماذا يفعل السلطان به وهو أحب الناس إليه فقال السلطان أن النعامة بكذا وكذا من الإبل ولك مهلة كذا يوم أن لم تحضر الغرامة وأودعتك السجن .

وقبل محمد الشرط واستعد للوفاء وذهب لزوجى شقيقتيه وأقاربه فى نفس الوقت وأخبرهما حقيقة الامر وطلب منهما العون فى سداد تلك الغرامة فقال البخيل الغنى خذ هذا التيس اعانة لك . وقال الآخر وهو فقير الحال إذا أصبحنا أفلحنا ولا يكون فى نفسك أى هم من الوفاء . وذهب لتوه وقال لأقاربه وأفراد عشيرته أن محمدا عليه كذا وكذا من الإبل وليس هناك من ينقذه من هذا الموقف إلا طيبتكم وشهامتكم ولا بعد هذه الحاجة حاجة . فقال الجميع ماذا يلزمنا فقال كل رجل منكم عليه ناقة فاستعد الجميع بالدفع وما أن أصبح الصباح حتى اجتمع لدى نسيب محمد مجموعة كبيرة من الإبل دفع بها بدوره إلى محمد واعتذر منه واستاق محمد الإبل والتيس وذهب للسلطان وقال له بالحرف الواحد ما جرى ليس خيانة منى لك وقد اتضح لى حقيقة ما أوصانى به والدى

فأفعل بى ما تشاء فقال السلطان مادام الأمر كذلك فانى قد عفوت عنك وقد وهبتك حمل كل ناقة من هذه الإبل لتدفع بها وما فوقها لصاحبها تقدير لنخوته فقال محمد والتيس ياسيدى قال ضع فوقه ما يستطيع حمله وادفع به لصاحبه فانه لايستحق أكثر من ذلك وصدق من قال أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة .

خيانة تحسمها الشجاعة

حدثنى الأخ عبد العزيز المرجان من أهالى مدينة حائل وهو من الرجال الثقات فى رواياتهم الذين يعتمد عليهم فى مثل ذلك قائلا عندما كانت الأمور يشوبها شيء من الفوضى وعدم الاستقرار ويعتمد الفرد أى فرد على ما يناله بيمينه عن طريق القوة لا يهمه فى ذلك محق أو غير محق المهم أن يكسب من مال أخصامه ما يسد حاجته أو يزيد عنها . وكان فاعل ذلك يمجد ويحسب له الف حساب عند الآخرين ويطلق عليه شجاعا مقداما لانه يستطيع أن يكسب قوته بيمينه لا بيمين غيره من الناس ففى تلك الفترة كان أحدهم يتنقل من مكان لآخر تأهب للسطو على ماشية أناس يعتبرهم أعداء له ولقبيلته . وفى هذه الحالة يجوز له الكسب من ماشيتهم قدر استطاعته وبأى طريقة يراها حسب ما تمليه الاعراف القبلية حينذاك وقد كان له ذلك حيث سطى على قطيع من الإبل واستاق ما حصل عليه بحوزته أمامه وعبر بها طريقا رأى فيه سلامته وما بحوزته واستمر فى طريقه هذا لتسع ليال بأيامها لم يتناول خلالها ما يفطر الصائم كما يقولون حتى انه بدى عليه الارهاق أثر ذلك الجوع وفكر فى نحر

حدى إبله لسد حاجته من الطعام إذا لم يصل هذه الليلة وما انبلج الصباح حتى وصل لارض أهله بالسكان وكان يواليه منزل فى سفح أحد الجبال الشاهقة لا أريد ذكر اسمه فأناخ الإبل وعقلها وذهب للمنزل الذى وجد بابه مشرع على مصراعيه فأطل بنفسه وتكلم بصوت مسموع ودلف لداخل المنزل عن حسن نية جريا على العادة عند البادية إذ يكتفى الوافد على أى منزل بندب صاحب المنزل بكلمة يا أهل البيت ويدخل وعندما دخل صاحبنا الذى لم يؤذن له بالدخول وإذا به يرى صاحبة المنزل تقوم باصلاح شىء من الخبز فى تنور أرضى وضع داخل فناء المنزل فتقدم نحوها لا لشىء إلا الحصول على الخبز فغضبت صاحبة المنزل من الرجل ولطمته على وجهه بحذائها فارتد عنها وأعاد ادراجه للجبل المحيط بالمنزل واختبأ فيه وصار يرقب تحركاتها من ذلك الموقع حتى ينطلق فى غفلة منها للخبز ويأخذ منه ما يسد فاقته .

أما هى فعندما انتهت من اصلاح الخبز تناولت وعاء بجانبها وذهبت لبئر قريبة من المنزل للتزود بالماء وانطلق صاحبنا حين خروجها وتناول الخبز وأخذ ما يكفيه ويشبع نهمه وأراد أن يعود لابله وإذا به يحس بعودتها من البئر فخشى أن تراه فدخل فى إحدى الغرف المجاورة لباب دخول

المنزل وجلس فيها يلتهم خبزه ويتحين فرصة غفلتها لكى يلحق بابله وما هى إلا لحظات حتى دلف على صاحبة المنزل رجل استقبلته استقبالا حارا وظن صاحبنا أنه صاحب المنزل أتى من غيبة طويلة غير أن ذلك الظن لم يدم إذ أقبل رجل آخر يمتطى صهوة فرس كان وقع حوافرها منبها لهما ومنذرا بالخطر وما أن سمع الرجل والمرأة وقع حوافر الفرس حتى لاذ بالفرار واتجه للغرفة التى يختبىء فيها صاحبنا ولاذ فى أحد أركانها دون أن يرى من فيها لأن هده الغرفة بمثابة مستودع مملوء بالعفش ولا يوجد بها أى إضاءة إذ لا نوافذ لها ووصل صاحب المنزل وترجل من فرسه واتجه للفراش الذى بجانب التنور وجلس برهة من الوقت لا تصل لدقيقتين واتجه نحو الغرفة حتى وصل وأمسك بالرجل الأخير أو الغادر واتجه به للتنور وسل سيفه وقتله والحق به المرأة وجلس وقال أنت يارجل الذى بالغرفة أخرج لن يصيبك أى أذى فأنت ضيف يحق لك الاكرام لا الاعدام فخرج صاحبنا واتجه إليه وأجلسه بجانبه وقام باكرامه كما ينبغى وقال صاحب المنزل حتى تكون على بينة من أمر ما حدث فان هذه زوجتى وهذا خدينها وقد شككت بأمرهما وأردت أن اتحقق بنفسى وابلغتها أننى مسافر لمدة سبعة أيام وذهبت منها ليلة البارحة واختفيت بالجبل فى موضع يكشف ما بداخل المنزل وما حوله وقد رأيتك وأنت تدخل لأول مرة وشاهدت مافعلت بك

وما فعلته أنت ثانيا وما كان من استقبال لهذا الخائن وحيث تحقق لى ما شككت فيه فقد قمت بواجبي وأنت شاهد أعيانى وسأدعو أهل الطرفين ليروا ما حدث أما أنت فانك بحمايتى وإبلك حتى تصل للبلد الذى قصدته وقد تم ذلك وافترق الطرفان وبقيت هذه الحادثة رواية يتناقلها الناس قابلة للزيادة والنقصان .

حكايات في قالب امثله

كثيرا ما نسمع على السنة أهالى نجد هذه العبارة (خيطى بيطى) يسوقونها فى الغالب كمثل يدل على عدم قناعة قائلة بكلام محدثه فأنت حينما تسمع كلمة أو جملة (خيطى بيطى) فانك تفهم أنه كلام لا يرتكز على شىء من الصحة ولكن هناك من ينسج حول هذا حكاية مفادها أن رجل لسانه غير عربى عنده جاكيت به شقوق ولسان قومه يسمى الجاكيت (بيط) فقال لزوجته يافلانه : خيطى بيطى ، أى خيطى الشقوق الموجودة فى جاكيتى ومن هذا يتضح أن أى كلمة تأتى على ألسنة الناس ملها معنى بعيد وقريب .

(٢)

وفى منطقة نجد أيضا يقولون خيق بيق يعنى كلام فاضى لا قيمة له ولا أساس يرتكز عليه . ولكن يقال أن هناك أناس من غير العرب يسمون الجمل (خيق) وأن أحدهم فى رحلة من رحلاته كان يرافقه شخص من العرب وفى إحدى الليالى شاهد صاحب الجمل رجلا يطلق عقال الجمل بقصد

اختطافه فأراد أن يشعر صاحبه العربى بما حدث لجمله وقال
يافلان خيق بيق اى أن الجمل سرق .

(٣)

ويقول أهالى نجد أيضا (خرمط مرمط) يعنى ما تستمع
له من محدثك لا صحة له وإنما هو اسطورة يتشدق بها . ولكن
يقال أن هناك أناس فى قديم الزمان يسمون العفش (خرمط)
وفى إحدى المرات رأى صاحب العفش أن هناك من يعبث
بعفشه فقال لصاحبه (خرمط مرمط) يعنى أن العفش بعثر
وسرق أحسنه والمرمطة يعنى بها البعثرة والعهدة على الراوى ..

المبصر الذي تحول كفيف ثم ابصر

حدثنى المرحوم محمد بن ناصر بن صقر السيارى وهو من الرجال الأفاضل الذين يندر وجودهم لما يمتاز به من الصدق والعفة والكرم واللباقة وسلاسة الحديث فى رواية القصة أو القصيدة . فقد كان رحمه الله لا يظمه مجلسا إلا ويكون متصدره لتوفر هذه العناصر فى شخصيته يرحمه الله وها هو قد رحل وبقى من آثار روايته مأ أورده لكم بكل أمانة وصدق كما رواه لى ونحن نعبر الطريق فيما بين الرياض وبلدة الغطغط حيث كنا فى ضيافة المرحوم أيضا ناصر بن نويصر الرجل الذى يندر وجوده هو الآخر لما يمتاز به من بذل المعروف واكرام الضيف ودماثة الخلق . ان هى إلا شهادة أسطرها عبر هذه الصفحة وفى ثنايا هذه القصة بعد أن خطفتهما يد المنون حتى لا اتهم بشبه المجاملة لهما فليرحمهما الله ويجعل البركة فى ذريتهما .

قال السيارى أن زيد من الناس وقد أوضح لى اسمه واسم قبيلته وأنه حى يرزق الآن ولكنى احتفظ لنفسى بهذا . قال كان بجانب قصر ثليم مسجد يعكف فيه بالعشرة الأواخر

من رمضان عدد من الرجال كفيفى البصر حتى ينتهى الشهر وتكون ليلة العيد حيث يأمر جلالة الملك الراحل عبد العزيز طيب الله ثراه بصرف كسوة كاملة أرفعها البشت وانزلها العمامة للمعتكفين بهذا المسجد والمساجد المماثلة وكان صاحبنا عديدا شديدا فحاك فى نفسه الحصول على هذه الكسوة التى تصرف صدقة من الملك على المعتكفين بالمساجد فتظاهر بأنه كفيف البصر ودلف للمسجد الذى بجانب قصر ثليم في العشرة الأواخر من رمضان وانضم لمركب المعتكفين بهذا المسجد حتى ينال ما ينالوه من كسوة وصدقة من المتصدقين وما أن انتهى الشهر وصارت ليلة العيد وصرفت الكسوة واستلمها على أساس أنه كفيف البصر ومن المعتكفين . وأراد أن يخرج ويودع الاعتكاف بالمسجد ويلبس أو يبيع ما احتصل عليه من كسوة . فاذا به كفيف البصر فعلا لا تصنعا فاصابه شيء من الذعر واتجه لله سبحانه وتعالى قلبا وقالبا وصار يتصدق بما ينال من حطام الدنيا واستمر على هذه الحال مدة خمسة عشر عاما فاراد الله أن يشفيه فشفى تماما وعاد إليه بصره وقد تقدم به السن فاعتكف فى احدى المساجد عن قناعة حتى وقت رواية السيارى فى هذه القصة . بقى أن تعرف عزيزى القارىء أن هذا الرجل صار كفيف البصر دون أى سبب إلا ما ذكر وعاد بصره إليه دون علاج إلا رحمة الله الذى وسعت رحمته كل شيء أما قصر ثليم الذى ورد اسمه فى

هذه القصة فانه ضيافة أحدثها جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله لكافة المسلمين يتناولون فيه وجباتهم الثلاث الأساسية دون أى مقابل وكان يرتادها النساء والرجال ومن أراد أن يحمل طعامه معه خارج قصر الضيافة فاليفعل ولا يزال القصر باقيا حتى الآن ضيافة للحكومة ولكن نظامه اختلف عن السابق حيث كان يقدم الطعام لمن هب ودب أما الآن فانه بمثابة فندق خاص للدولة يسكن به من احتاج إليه من الوافدين من انحاء المملكة وهذه اصطرها للتاريخ .. والله الموفق .

وفاء الكلب ايقظ ضمير الرجل

جاء فصل الشتاء وهطلت الأمطار على أراضى قبيلة عنزة واكتست الأرض زخرفها من الورود ذات الألوان المتعددة الأشكال وبات الاخضرار الطابع الذى يكسو جبالها ووهادها وغردت الطيور بألحانها فرحا وزهوا بجمال الطبيعة الخلاب . وقدم للأرض المخصبة أصناف من البشر بما يملكون من ماشية وكان من ضمن هؤلاء رجل من قبيلة شمر فاتنى اسمه أختار جوار أحد رجالات قبيلة عنزة وربما لمعرفة سابقه ومرت الأيام وانقضى فصل الربيع وتحتم على الجميع الرحيل لمورد المياه لسقيا مواشيهم كل منهم على موارد قبيلته . وفضل الشمرى البقاء بأراضى قبيلة عنزة إلى جانب جاره وربطت بينهما الحيرة برباط الألفة والتقدير اللامتناهى. واستمرا بجيرتهما لعدة سنوات لم يفارق أحدها الآخر فى أى فصل من فصول السنة ولكن الغربة عن مواطن القبيلة هذه المدة الطويلة فرضت على الشمرى الحنين لمرابع قومه مما حدا به أن يستأذن جاره بالرحيل الذى بدوره رضخ للأمر الواقع وأذن له فرحل الشمرى إلى مواطن قبيلته . وكان ذلك الوقت وقت غارات وسلب ونهب إذ لا محكوم يخضع

لحاكم ولا حاكم يستطيع أن يفرض سلطانه على محكومه اللهم إلا شيوخ القبائل الذين يرون فى وسيلة السلب والنهب من مواشي الآخرين مفخرة لهم ورافدا من روافد اقتصاد القبيلة فالقبائل كلها تغير على بعضها البعض وكاسب اليوم مكسوب الغد وهكذا دواليك مرة لك وأخرى عليك .

عكس ما ننعم به اليوم من أمن وأرف الظلال ورخاء شامل وصفاء القلوب نتيجه لتوحيد كلمتنا وجمع صفنا تحت راية واحدة وعقيدة واحدة قوامها الإسلام وشريعتها شريعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وركيزتها هذه الحكومة التى ساوت بين الحاكم والمحكوم فى ظل هذه الشريعة السمحاء .

أعود لقصتنا ففى غضون تلك الظروف غير المستقرة انطلق الشمرى يرافقه أحد أقاربه قاصدين مضارب قبيلة عنزة للكسب من مواشيهم لانها القبيلة الموالية لمرابع قبيلتهما ولان أعراف القبيلة السائدة تجيز لهم ذلك . وما أن وصلا لأراضى القبيلة التى يقصدانها حتى اختفيا عن الأنظار فى مكمن من مكامن الأرض خشية أن يراهما أحد يفسد خطتهما ، وترقبا لحلول وقت الظلام لتحين ساعة الصفر بالنسبة لهما لانقضاضهما على الماشية التى أتيا من أجلها وانقضت فترة النهار وأرخى الليل سدوله على الكون وانقضا . على أقرب البيوت الموالية لمخبئهما وشرعا فى اطلاق

عقل الإبل واستاقاها أمامهما . وفيما هما يدفعانها أمامهما اذ بكلب صاحب البيت ينتبه لهما وينطلق نحوهما مدافعا عن إبل صاحبه ومنبها له ولكنه عندما لحق بهما ــ اعنى الكلب ــ تحول نباحه إلى همهمة يعرف من ورائها الترحيب بهما والعزوف عن مشاكستهما فتعجب الرجلان من ذلك الكلب الذى تحول من عدو إلى صديق بمجرد وصوله إليهما فصار كل منهما يحدق بالكلب ويستعيد ذكرياته عسى أن يعرف لمن يكون هذا الكلب . ولم يمر وقت طويلى حتى عرف جار العنزى أنه كلب جاره الذى جاوره لمدة سبع سنوات وافترق عنه منذ سنتين فقال لصاحبه أنه كلب جارى فلان العنزى ولن يكون الكلب أطيب معرفة منى ولكن عد بالإبل إلى صاحبها . أنها لم تقسم لنا . فعادا بها واناخاها فى مكانها . وندب صاحب البيت الذى استيقظ من نومه ورحب بهما واكرمهما واخبراه ما جرى فانشد يقول :

اليوم لو عديت في رأس نابى
كنى وحيدين ما لقى حوله اوناس

أَخذت سبع سنين عند الركابى
امشى عزيز بينهم رافــع الراس

وعقبه طلبنا ربعنا بالوجـابى
ورحنا على حسب العوايد والاجناس

وغارو علينا للطمع والكسابى
ومن حشمتى استرجع الذود قباس

وقباس اسم كلبه الذى أعاد الذود من خاطفيه بواسطة معرفته السابقة للخاطف وتقدير الخاطف للمخطوف .

كم فزعه منها السلامة مكسب

مشعان الرشيدى رجل من رجالات قبيلة الرشايدة عركته الحياة عرك الرحى لثفالها مثله مثل أمثاله فى زمانه إذ لا وجود لمصدر الرزق الحلال إلا ما يناله الرجل بذراعه عن طريق القوة ومشعان هذا كان ينجع من مرابع قومه فى حرة هتيم إلى قلب نجد وربما تجاوز ذلك لمنطقة الجنوب أو أقصى الشمال طلبا للرزق من مواشى القبائل المعادية لقبيلته حينذاك وهذه طريقة يشاركه فيها أغلب الناس حيث النهب مباح لمن طالت قناته وفق الاعراف القبلية السائدة بل أن الرجل يمتدح بهذا الفعلة ويوصف بالشجاعة وقوة المراس ويحسب حسابه.
وفى فصل الشتاء نجع مشعان جريا على عادته من مرابع قومه لمنطقة مأهولة بالبادية حيث فصل الربيع وعندما وصل لمرابع القبيلة التى يقصد الكسب من ماشيتها اختبأ فى مكمن من مكامن الأرض حتى لا يشاهده أحد من أفراد القبيلة وينذر قومه من سطوة هذا الحنشولى ومر ذلك اليوم ودنى الليل وأرخى سدوله على الكون وشربت كل عين بللها من النوم نهض مشعان من مخبئه واتجه لاحد البيوت الموالية له وعثى بابل صاحب البيت يطلق عقلها الواحدة تلو الأخرى وفيما

هو كذلك وإذا بأبنة صاحب الإبل تشعر بحركة الإبل حيث استيقظت من نومها وخطت نحو والدها وشقيقها فايقظتهما من نومهما واخبرتهما الأمر فشعر مشعان بذلك فهرب بنفسه تاركا الإبل لاصحابها ولكن صاحب الإبل وابنه يصران على اللحاق به ويستطيعا أن يقبضا عليه ويعودان به لبيتهما ويكتفانه للانتقام منه ويلمس مشعان منهما القسوة ويترنم بهذه الأبيات بصوت مرتفع إذ يقول :

ضويت يوم البرد يضرب لسيبه
يوم الردي كنة عن المرح مقهور

بغيت مرحول الفريق اغديبه
وعاقتنى اللى كنها قايد الحور

عيا نصيبى لا يغطى نصيبه
واصبر الياجانى من الرب مقدور

يا بنت أنا مدركت غير الغليبه
قولى لبوك يفكنى وأنت معذور

وعندما انتهى مشعان من هذه الأبيات نهضت البنت و وانكبت على رأس والدها طالبة منه العفو عن هذا الرجل لا لشيء إلا لانه امتدحها ورجاها بالتوسط فاتم والدها لها ذلك وعفى عنه واطلق سراحه حيث عاد مشعان بخفى حنين بعد أن كاد يهلك في سبيل لقمة العيش وصدق من قال (كم فزعه منها السلامة مكسب) .

السر الخفى

حدثنى عبد الله بن نائف بن عون من قبيلة الروسان من عتيبة قال كنا على ماء سجا العد المعروف فى نجد ووفد علينا رجل يدعى محمد يرافقه امرأة وقد اباح محمد هذا لوالدى بسر لم نعلمه إلا فيما بعد . فاسكنه والدى أحد البيوت المنسوجة من شعر الماشية وكلفه بالعمل عنده بأحد رعايا الإبل واستمر على ذلك طيلة بقاءه عندنا لفترة جاوزت الأربع سنوات . وعندما أكمل جزءا من تلك المدة بعث والدى نائف بن عون بعدد من الرجال ومعهم أثنتان من الركاب وبندقيتان وهما فى وقتهما يساويان الشيء الكثير وقد بعثهم لجهة لا نعلمها حينذاك وعاد الرجال بعد مضى فترة تجاوزت الشهر وإذا بهم يحملون صكا شرعيا بتوكيل والدى نائف على زواج محمد من المرأة التى ترافقه وتقيم معه منذ وصوله لنا . فاستدعى والدى المطوع فلان وامره بعقد قرانهما على بعض حسب ما نصت عليه الوكالة الشرعية المرسلة لوالدى وتم زواجهما بعد أن جهز لهما والدى وأقام لهما حفلة فرح من قبل الحاضرين على ماء سجا . وعندما اتضح الأمر لنا وإذا بمحمد هذا من قبيلة ذات حسب ونسب وهو من أشرف

وانبل الرجال وكذلك المرأة وقد وقع بعضهما أسير حب الآخر وتقدم محمد بطلب يدها من ولى أمرها وقوبل بالرفض واعاد الكرة مرات ومرات لطلب الزواج منها ولم يقابل إلا بالرفض لا لشيء إلا أنه يحبها وتحبه ويعلم الناس عنهما ذلك وعندما أغلقت أبواب اتمام الزواج فى وجهيهما استقر رأيهما على الهرب مع بعضهما واللجوء لاحدى القبائل حتى يتم لهما الزواج على سنة الله ورسوله فوقع اختيارهما على اللجوء لوالدى نائف بن عون الذى حقق لهما امنيتهما الوحيدة فى هذه الحياة بماله وجاهه ووفق الله فيما بينهما وانجبا طفلين بعد أن استحال عليهما ذلك عند اهلهما وذويهما وعندما انجبا انجبا طفلين عادا لاهلهما وذويهما والسعادة تغشى قلبيهما وسارت أوضاعهما على أحسن ما يرام .

وافق شن طبقة

يقال أن شنا هذا من الشباب التقى الورع . ولهذا سعى لاكمال نصف دينه وهو لا يزال فى سن مبكرة جدا فزاد ذلك ايمانا ومحافظة على قيمته الدينية والدنيوية واكتسى فى ظل ذلك الزواج بثوب السعادة مما جعله يتعلق أكثر بفتاته التى اختارها رفيقة لدربه الطويل وكانت عند حسن ظنه إذ وفرت له الراحة التامة والسعادة الزوجية اللامحدودة ولكن يد المنون لم تجعله يستمر فى سعادته تلك إذ اختطفت زوجته منه وقلبت راحته إلى شقاء وسعادته إلى نكد وعناء وواراها فى مثواها الأخير ونتيجة لليأس الذى جعله الله سلوى لعباده فى هذه الدنيا سارع فى البحث عن شريكة جديدة عسى أن تعوضه عن الأولى وتضفى عليه سعادته المفقودة التى كانت تتوفر له فى كنف الأولى .

وما هى إلا فترة بسيطة ويتم له الزواج باحدى بنات حواء ولكنه لم يجد فى قربها ما وجده فى قرب الأولى فصار الفراق بينهما . وخطى خطوته الثانية وكان نفس المصير المدعوم بالفشل . فخطى خطوته الثالثة فالرابعة ولم يوفق

فيمن تعيد له سعادته إذ كان الفراق هــو الحتمية التى لابد
منها حتى يريح أعصابه فاصابه شيء من عدم الثقة بكل بنات
حواء اللاتى يضمهن محيط بلدته الصغيرة وتصور انه لن يجد
من تعيد له سعادته المفقودة بوفاة زوجته الأولى ولهذا كره
البقاء والعيش فى بلدته التى انجبته وتطبع بطباع أهلها وقرر
الرحيل إلى أرض الله الواسعة وامتطى راحلته وواصل السير .
وفى أثناء طريقه رافقه أحد السيارة على راحلته الخاصة به
فاتفق الأثنان على قطع المسافة سويا لأنهما يقصدان وجهة
واحدة ودار الحديث فيما بينهما بما هب ودب وانتهى كل
ما فى جبعتهما من الاقاصيص والروايات وسادهما مشيء من
الصمت اطال الطريق عليهما وكدر صفوهما فقال شن
لصاحبه عبد الله أما أن تحملنى أو احملك ، وقــال عبد
الله أنا امتطى راحلتى وانت تمتطى راحلتك فكيف أحملك
أو تحملنى . فسكت شن وساد الصمت مرة أخرى حتى
وصلا لمشارف البلدة التى يقصدانها وإذا بمزرعة فى طريقهما
يكتنفها عدد من الرجال يحصدون محصولها من القمح فقال
شن لصاحبه هل هذه المزرعة محصودة أو لا تحصد فرد صاحبه
بقوله عسى أن لا تكون جنيت ياشن . ألا ترى الرجال
وهم يحصدون المحصول فقال شن لقد فات على وجود
الرجال وحصادهم لمحصولها .وساد الصمت وتقدما قليلا إلى
البلدة . وما أن دخلاها حتى قابلهما عدد من الرجال يحملون

على اكتافهم جنازة لمثواها الأخير فقال شن : يا صاحبي هذه الجنازة حية أم ميته فقال صاحبه وتعرف أنها جنازة وتسألني عن حياتها أو موتها أن أمرك غريب بلا شك فضحك شن وصمت وواصلا سيرهما وعندما دخلا لقلب البلدة قال عبد الله يا شن أنت بهذه البلدة غريب ورافقتني خلال الرحلة فصار لك حق علي ولكن هيا معي لمنزلي لتناول العشاء فقال شن ليس لدى مانع من ذلك ولكن لن أذهب معك الآن فانت حينما يجهز عشائك تجدني في انضف بقعة بالبلدة تأتي إلي وأذهب معك . وافترقا كل منهما لجهته المعلومة وما أن وصل عبد الله لمنزله الذى لا يوجد به سوا ابنته الوحيدة أمرها أن تشرع باصلاح العشاء له ولضيفه وعندما قرب العشاء أن يستوى ذهب عبد الله للبحث عن ضيفه في كل مكان يرى انه انضف بقعة ولم يجد فعاد لابنته واخبرها أمر صاحبه منذ أن رافقه حتى وصلا للبلدة فقالت ابنته قال لك أحملني يعني حدثني وأحدثك حتى نقضى على طول الطريق وعناء السفر . وقال لك هل المزرعة تحصد أو محصودة رغم انه يرى الحاصدون فيها وكان يعني من وراء ذلك هل المحصول لصاحب المزرعة فعلا أو أن عليه من الديون ما يجعل هذا المحصول سدادا لاصحابها ولا يبقى له منها شيئا. وقال لك هل هذه الجنازة حية أم ميتة وهو يعرف أنها جنازة تحمل لمثواها الأخير وكان يقصد من

وراء ذلك هل هذه الجنازة خلفت من بعدها من يحيي ذكرها ويحفظ
اسمها من الابناء أو أنها لم تخلف من يحفظ لها ذلك . وقال
لك إذا جهزت العشاء فتجـــدنى في انضف بقعـــة وذهبت
أنت للحدائق وللأرض الفضاء للبحث عنـــه وهو موجـــود
بالمسجد لانه انضف بقعة فى البلدة وعليك أن تذهب له
هناك.. وتعجب عبد الله من إجابة ابنته وذهب إلى المسجد
ووجد صاحبه وقال هيا بنا فان العشاء قد جهز فقال شن
اخبرنى من قال لك انى بالمسجد قال أنا عرفت فاستحلفه بالله
من قال لك هذا فقال أنها ابنتى (طبقه) فنهض شن معه وعندما
وصلا المنزل عبد الله وقدم له الطعام قال شن انى لن اتناول
هذا الطعام ما لم تزوجنى (طبقه) فقال إذا رغبت هى ذلك
فهى من نصيبك . فشاورها وقبلت به زوجا ووجد ضالته فى
كنفها وقالوا (وافق شن طبقه) والعهدة على الراوى .

نويشي الحربي وانتقامة لصاحبة

من القيم التى يتميز بها الانسان العربى وتجرى فى نفسه مجرى دمه الوفاء والصدق والامانة والمحافظة على القيم الإنسانية بالوعد والعهد وما يضمن حقوق الجار والضيف ورفيق الدرب ومن هذا المنطلق كان نويشى الحربى يعمل لدى أحدهم كراع للإبل وفى أثناء تجواله وتنقله من مكان لآخر حسبما تمليه رغبة الإبل في اختيار المرعى الخصب لها تقابل مع راعى إبل آخر يعمل لغير نفسه هو الآخر وحصل بينهما صداقة ومودة دامت لعدة سنوات وفى ذات يوم أراد صاحب نويشى أن يذهب لاهله وذويه تاركا العمل عند صاحب الإبل الذى أمضى معه ردحا من الزمن فأخذ حقه عددا من الإبل مقابل اتعابه ومر بصاحبه نويشى الحربى لموادعته خشية أن لا يجود الزمان بلقائهما وأخبره بأنه ذاهب لاهله وذويه وأن مروره سيكون بأراضى قبيلة نويشى حيث يسكن أهله موازين لهم فقال نويشى مادام أنك ستمر بأراضى قبيلتى فسأضع وسما على هذه العصا واسلمك إياها .. (العلامة المميزة لمواشى قبيلة نويشى) حتى ان اعترض سبيلك أى طامع من قبيلتى تطلعه على الوسم وسيترك سبيلك إذا رأى ..

الوسم حسب ما تمليه الاعراف القبلية في ذلك الحين وفعلا رسم على العصا وسم قبيلته وأعطى العصا لصاحبه وتوادعا وذهب كل منهما في سبيله حيث بقي نويشي في إبل مستأجره فيما عبر الطريق صاحبه إلى حيث يريد وفيما هو ساير بابله عبر أراضي قبيلة نويشي اعترض سبيله مجموعة من الرجال طمعا بابله فقذف بالعصا عليهم عسى أن يرو وسم نويش ويتركوا سبيله وسبيل إبله ولكنهم لم يعيروا وسم نويشي أي اهتمام . ونفذوا خطتهم إذ اقتفوا إبل صاحب نويشي بعد أن قتلوه وهو يلوذ بنفسه عنهم في أحد الأشجار ويردد اسم نويشي ويقول انني في حمايته حتى أصل لاهلي وكان من ضمن المعتدين خال نويشي غير انه لم يفعل شيئا بصاحب نويشي ولكنه لم يدافع عنه ومرت الأيام وعلم نويشي بما حدث لصاحبه فاعتذر لمستأجره وانهى علاقته به وشد رحاله لمرابع قومه وعندما وصل إليهم استفسر عما حصل لصاحبه من خاله فأخبره حقيقة الأمر فاتجه نويشي للذين اعتدوا على صاحبه وقضى عليهم قضاءا تاما وكان عددهم ستة اشخاص انتقاما لصاحبه ورد أعتباراً لنفسه ولأنهم هم المعتدون فعلا وبقي خاله لم يصبه بأي أذى لانه اعتذر منه بعدم الموافقة على سلب إبل المجني عليه أو مسه بأي أذى فصدقه وترك سبيله وفي أحد الأيام ركب نويشي وخاله على راحلتين لقضاء بعض

الحاجيات الدنيوية وفيما هما سايران وإذا بهما يمران على نفس الموقع الذى تم فيه قتل صاحب نويشى وأخذ إبله فقال خال نويشى أن صاحبك كان يلوذ بهذه الشجرة عن بطش المعتدين عليه وفى وقتها كان يقول يانويشى فقال اين الشجرة يا خال فقال هذه مشيرا بيده اليمنى ناحيتها فسل نويشى سيفه وبتر يد خاله وقال يد لم تفلك أو تنجى صاحبي يجب أن تبتر ولو لم تكن خالى من ناحية ولم يكن لك يد فى الموضوع من ناحية أخرى لالحقتك إياه وانطلقا فى سبيلهما وكانت هذه القصة التى لم يسبق نويشى على فعلها حد بالنسبة لكبر السطوة والتزامه بالوفاء لصاحبه رغم انه من قبيلة معادية لقبيلته وقال أحدهم عندما أحس بضيم لم به ولم يستطع أن يفعل ما فعله نويشى قصيدة بحادثة نويشى ووفاءه نورد منها هذين البيتين :

لا وهنى نويشى اللى قضى الدين

وتقبل القمرا من أول شهرها

عقب أَربعه وثنين يبرا من الشين

غير اليمين اللى بسيفه بترهـــا

وعلى أى حال هذه القصة جرت أحداثها فى زمن يكتسى بثوب الفوضى والسلب والنهب إذ لا أمن ولا أمان فى ذلك الحين ولا سلطة تردع المعتدى وتنصر المعتدى عليه عكس ما نعيشه ونستظل بظله الآن ويحسدنا عليه من لم ينعم بمثل أمننا وامانا ولله الحمد والمنه .

مالى ولا حالى

فى إحدى السنوات وفد لمدينة الرياض رجل من أبناء البادية لقضاء بعض حاجياته وعندما حصل على ما يلزمه من متطلبات الحياة توفر معه مبلغ من المال قدره خمسمائة ريال وكانت تساوى الشيء الكثير فى ذلك الوقت فخشى أن هو خرج بهذا المبلغ معه للبادية أن يسلب منه أو يفقده بطريقة أو بأخرى فعمد لصاحب الدكان (المتجر) الذى اشترى منه أغلب حاجياته ويدعى إبراهيم البصرى فأودعه المبلغ أمانة حتى يحتاج إليه ويفد لمدينة الرياض وسافر فى طريقه لاهله وذويه ومرت الشهور بل والسنون وهو ينتقل من مكان لآخر وفقا لرغبات ماشيته التى هى كل شيء عنده وفى ذات يوم وفد لمدينة الرياض لقضاء بعض حاجياته الضرورية فحصل عنده التباس فى معرفة صاحب المتجر الذى أودع عنده الأمانة فاتجه لمتجر عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ وطلب منه الأمانة فقال له عبد الرحمن ما هى أمانتك التى أودعتنى إياها فانى قد نسيتها فقال البدوى أنها مبلغ خمسمائة ريال فقال عبد الرحمن وهل أنت متأكد من وضعها عندى كأمانة لغرض تذكيره بالسهو فقال البدوى نعم اننى أعطيتك إياها

أمانة حتى أعــود إليك والآن أريد التصرف بها فخشى
عبد الرحمن على سمعته بأن يقال أنه أكل أو طمع بأمانته
وخان صاحبه وإلا فأنه متأكد من عدم إيداعها لديه فدفع
بالمبلغ كاملا لابن البادية الذى استلم المبلغ ومضى فى سبيله
وأراد الله أن يظهر الحق إذ مر البدوى من أمام دكان إبراهيم
البصرى الذى أودعت الأمانة لديه وما أن رأى ذلك حتى
ندبه باسمه وعندما حضر إليه قال البصرى تأخرت عن طلب
الأمانة عسى ما شر فقال ابن البادية : أى أمانة تقصد فقال :
البصرى المبلغ الذى أودعته لدى أمانة منذ ست أو سبع
سنوات فقــال البدوى إنــا لله وإنــا إليه راجعــون
وأمانتى لديك إذن وأنا ذهبت لغيرك واستلمتها منه دون أن
يمانع فى تسليمها لى فقال البصرى : خذ أمانتك وان كنت
قد ذهبت لغيرى فراجع نفسك فان الدنيا زائلة فعاد البدوى
لتوه لابن الشيخ واعتذر منه وأعاد إليه المبلغ الذى استلمه
منه وقال ابن الشيخ : الحمد لله الذى هيأ لنا من مالنا ما يستر
حالنا فأنى لو لم أعطك المبلغ الذى اشرت إليه لشوهت
سمعتى وسمعة اسرتى بقيل وقال ولكن حفاظا على سمعتنا
دفعت المبلغ إليك رغم علمى أنه ليس لدى وقد أظهر الله
الحق لنا جميعا : من هذه القصة يظهر لنا مدى الأمانة التى
التى يتصف بها الثلاثة فالبصرى حفظ الامانة وأداها لصاحبها
كاملة غير منقوصة وابن الشيخ دفع بالمبلغ ليقى سمعته

وسمعة أسرته الشايعات التى يمكن أن تحاك ضدهم لو لم يدفع بالمبلغ والبدوى أمين وصادق فأمانته باعادة المبلغ لابن الشيخ . عندما اتضح له الحق وصدقه أنه لم يدع بامانة لم تكن ولم يدع بأكثر منها إذا فهمنا أن ليس هناك مكاتبات تثبت الحق لصاحبه أو تثبت وجود الأمانة لدى البصرى أو ابن الشيخ ولكن مخافة الله والثقة التامة بين الناس فيما بينهم فى ذلك الوقت . فهل نكون مثل هؤلاء فى أمانتهم وصدقهم وحافظهم على سمعتهم من أى شىء يمكن أن يقرب الاساءة إليهم حتى وأن أدى ذلك إلى خسارتهم المادية عسى أن نكون كذلك مع علمى أن الدنيا لم تزل بخير .. والله الموفق .

الضيف في حكم المضيف

قبل أن يستتب الأمن ويسود الرخاء فى هذه البلاد على أيدى آل سعود الذين ننعم الآن تحت ظلهم فى بحبوحة من العيش وستاره وارفة الظلال من الأمن والرخاء والطمأنينة النفسية كان هناك ساب ونهب نتيجة لزعزعة الأمن والامان إذ كان القوى يأخذ الضعيف لا لشيء إلا لانه ضعيف لا يردعه رادع من ايمان أو خوف من سلطة تنصف المعتدى عليه وكان أمير القبيلة فى ذلك الحين هو السلطة الوحيدة التى تستطيع أن تأخذ حق الانسان أو ترفضه لأن هناك عادات متبعة بين القبائل لا يمكن تجاوزها ومنها إجازة أعتداء قبيلة على أخرى لغرض الكسب ولكن هناك عادات تحرم على المعتدى أن يسلب كل شيء يستطيع سلبه مثل الضيف والجار والخوى والمرأة المستضعفة وما شابه ذلك فان العرف القبلى لا يجيز الاعتداء على مثل هؤلاء ولو تم ذلك من أحد أفراد القبيلة فان من بيده السلطة يستطيع ارجاع الحق المسلوب لصاحبه متى ما توفرت القناعة لديه كما فى هذه القصة التى وقعت نتيجة لعشوائية أحد أفراد قبيلة الدهامشة من قبيلة عنزة الذى اعتدى على ضيف عيد أبا الروس من شيوخ

الدهامشة إذ حل عليه ضيف من قبيلة أخرى وقام عيد بواجب الضيافة ولما كان الصباح استأذن الضيف من مضيفه بالرحيل واذن له وامتطى راحلته وسار في طريقه الذى يقصده أصلا وفيما هو ساير في طريقه اعترضه رجل يدعى (اويكني) بالقحص من قبيلة عيد طامعا براحلته ودون أى مقدمات يلطم القحص ضيف عيد أبا الروس على وجهه لغرض افزاعه ويقول اهبط عن الراحلة تسلم بنفسك ويفعل ضيف عيد ذلك ويمتطى القحص راحلته ويعبر بها طريقه أما ضيف عيد فقد عاد ادراجه مشيا على الاقدام حتى وصل لعيد أبا الروس وقبل أن يجلس قال الأبيات التالية :

القحص من مر الليالى سقاني
وياطخه ظخن على الوجه ياعيد

اقطع يده ياشوق جال الثمانى
وإلا اذبحه كان أَنت تدري المناقيد

فقال عيد أجلس ياضيف الرحمن وتأخذ حقك ان شاء الله وبحث عيد عن الرجل حتى وجده واحضره أمام الضيف وقال ماذا قلت فى أبياتك يا ضيف فقال الأبيات نفسها فقال

عيد لو أنت قدمت القتل قبل قطع اليد لفعلت به ذلك و لكنك ذكرت قطع اليد أولا و لهذا قطعنا يده التى لطمتك ياضيفنا وهذه راحلتك و مع السلامة ..

قصة من الماضي

من المعروف أنه كان في فترة من فترات تاريخنا لا يأمن الانسان على نفسه كي ينتقل من مكان لآخر . ولهذا تجد أن أي إنسان يرغب السفر لابد أن يبحث له عن مرافقين ضمانا لسلامته وسلامة راحلته حتى أن الحاج لا يستطيع أن يقوم بأداء الفريضة ما لم يكن بمصاحبة مجموعة من الرجال نتيجة لتزعزع الأمن في تلك الفترة من ناحية ولتباعد موارد المياه عن بعضها من ناحية أخرى لكون وسائل النقل الوحيدة في ذلك الحين الإبل وهذا يفرض على سالك الطريق أن يحتاط لنفسه بالماء والطعام . المهم أن قافلة تقل عددا من حجاج برئاسة صالح بن رخيص من أهالي المذنب بالقصيم مدو من مدينة الرس متجهين لمكة المكرمة لاداء فريضة الحج لعام ١٢٨٠ هـ .. وكان من ضمنهم محمد بن منصور بن ريس وجارد بن ذياب من أهالي الرس وواصل الجميع سيرهم وأدوا مناسك حجهم في تلك السنة وامتطوا ظهور رواحلهم عائدين لاهلهم وذويهم في نجد وفي أثناء طريقهم أصيب جارد بن ذياب بمرض الجدري اصابة بليغة الأمر الذي اقعده عن مواصلة سيره مع رفاقه مما حدا برفقاه أن ينيخوا

ركابهم ويبقون عند مريضهم ولكن قساوة الصحراء وبعد المسافة بينهم وبين أهلهم وندرة المياه وقلة الطعام فرضت عليهم عدم البقاء في مكان واحد فتشاور الجميع على ماذا يفعلون برفيقهم المريض فقال بعضهم ننقله على نعش نتبادله فيما بيننا حتى يكتب الله ما يريد له وقال آخرون نضعه في أحد العدول (وعاء كبير من الصوف) وتنقله على احدى الركاب فتدخل محمد بن منصور بن ريس وقال أن جارد قد أهراه المرض ولا يستطيع الصبر على النقل وهو في هذه الحالة إذ لو حملناه كما تقولون فان هذا يعني نهاية حياته ، ولكن اذهبوا بسلامة الله إلى أهلكم وذويكم وأنا سأبقى عنده حتى يشفيه الله أو يتوفاه ونتيجة لاصرار محمد على هذا الرأى رحل الجميع وتركوا محمد عند مريضه قرب جبل بلغه وصار يشرف على مريضه ويؤكله من لحم الصيد وقد استمر على هذه الحال مدة وصلت لثلاثة أشهر حيث كتب الله الشفاء لمريضه بعد هذه المدة فركبا راحلتيهما واتجها إلى أهلهم وذويهم بالرس ولان الاثنين عاشا هذه المدة في منطقة صحراوية قاحلة ليس بها إلا السباع والأودية والجبال الشاهقة فقد سمى محمد بن منصور بن ريس بعد هذه القصة بـ (الضلعان) نسبة للجبال التي عاش بينها عند مريضه لأن أهل نجد يسمون الجبال الضلعان ولا تزال سلالة المذكور في مدينة

الرس تعرف الآن بالضلعان وقد نظم محمد قصيدة شعبية تثبت هذه الحادثة يقول فيها لابن رخيص رئيس القافلة :

قل هيه ياهل شايبات المحاقيب
اقفن من عندي أَجداد الآثاري

أَقفن من عندي كما يقفى الذيب
لا طالع الشاوي بليل الغـداري

الياكن صفق إذ يالهن بالعراقيب
رقاصه تبغى بزينه تمـاري

يابن رخيص كب عنك الزواريب
عمارنا يابن رخيص عـواري

خوينـا ما نصلبـه بالمصاليب
ولا يشتكى منا ادروب العزاري

لازم تجيك أَمى بكبده لواهيب
تبكى ومن كثر البكا ما تداري

تنشدك باللى يعلم السر والغيب

وين ابنى اللى لك خوين أَحباري

قله قعد في عاليات المراقيب

في قنه ما حوله إلا الحباري

يتناخويه لين يبدي به الطيب

وإلا يجيه من الصواديف جاري

وان كان ما قمنا بحق المواجيب

تحرم علينا لابسات الخــزاري

وقد أوضح فى قصيدته أعلاه أسباب جلوسه وتأخره عن رفاقه كما أوضح نوعية الأرض التى بقى فيها وأن والدته ستسأل صاحب القافلة عنه وعن أسباب التأخر كما أورد بعض المعانى التى لا يلزم شرحها. أخذت هذه القصة والقصيدة عن لسان الأخ إبراهيم اليوسف معد برنامج البادية بالاذاعة فشكرا له .

العفو عند المقدرة

مر زمن كان الإنسان يعتدى فيه على الإنسان لاتفه الأسباب ويسلب حقه ويمضى فى طريقه غير مبال مما فعل ولكن هذا لم يكن يجرى على جميع الناس لأن هناك منهم من يقف وقفة الطود الشامخ فى وجه الخصم أو يكون خلفه من يحميه ويأخذ بثأره من ذلك المعتدى طال الزمن أو قصر وهذا ماتثبته لنا تلك الحادثة التى جرت فى تلك الفترة وكان بطلها يدعى (خربوش الشاووش) من قبيلة العضيان من عتيبة وخربوش هذا من أبرز صفاته المميزة له الشجاعة بما تعينه هذه الكلمة من معنى فهو فارس مقدام على صهوات الخيل وهو سند قوى لامير قبيلته (مارق الضيط) الذى قيل أنه لم يدخل أى معركة كانت إلا وكان المنتصر فيها على أخصامه لما يتمتع به من شجاعة نادرة وذكاء خارق وخربوش هذا لا يقل عن أميره شجاعة مما جعله يحتل مركزا متقدما بين رجال القبيلة إذ لا ينظر إليه إلا بعين الوقار والتكريم من لدن الجميع ولكن ما اقسى لكن مهما كان للانسان من حسنات فانه لابد أن يكون له هفوات ربما تجعله فى هاوية لا تحمد عقباها مثلما كان لخربوشنا هذا حيث اعتدى على

أحدهم وأرداه قتيلا وكان خلف القتيل شقيق يحسب له الف حساب مما حدا بخربوش أن يجلو عن القبيلة ويختفى عن الأنظار فى أحد الجبال المنيعة خوفا من سطوة هذا الرجل انتقاما للمجنى عليه . واستمر خربوش فى اختفائه هذا مدة قد تصل لعام كامل وهو لا علم ولا خبر عنه رغم البحث المستمر من قبل شقيق المجنى عليه ، وكان خربوش من المدمنين على التدخين وفى ذات ليلة نفذ مامعه من الدخان وضاقت به الأرض وهو يعيش هذه العزلة عن الناس فصار يتنقل من مكان لآخر تأهبا للتسلل لاحدى القرى المجاورة للبحث عن ضالته (الدخان) وفيما هو كذلك وإذا برائحة التبغ تتسلل إلى أنفه فاتجه نحو الرائحة وإذا بها تصدر عن بيت من الشعر سكن صاحبه فى هذه الأرض لتوه فنزل خربوش من الجبل واتجه للبيت وعندما وصل إليه نادى صاحب البيت قائلا ياهل البيت . فرد عليه صاحب البيت بأن أدخل فتقدم لداخل البيت وعندما أطل بوجهه على صاحب البيت وإذا به الرجل الذى هرب خوفا من سطوته . فوقف مذعورا أمام تلك المفاجأة التى لم يحسب لها أى حساب فى تلك الليلة .

فقال صاحب البيت — خربوش أتى بك الله وأنا ابحث عنك فى كل مكان ..

فقال خربوش – ساقنى إليك الذى بيدك يعنى (سبيل الدخان) .

فقال صاحب البيت قل والله انى لم أعلم أنه أنت ولا بيتك .

فقال خربوش لو علمت أنه أنت لما أتيت إليك وأنا هارب عنك ولو لم احسب حسابك لما اختفيت عن الأنظار طيلة هذه المدة ولكن جلبنى إليك الدخان قبح الله الدخان دون أن أفكر فى العواقب وما عليك إلا أن تفعل ما تشاء بى .

فقال صاحب البيت أجلس يا خربوش . فجلس وناوله صاحب البيت الدخان والسبيل وقام من عنده ونحر له خروفا دفع به لربة البيت لاصلاحه عشاء لخربوش وعاد لضيفه وقال أن الدخان الذى جلبك وأوقعك بين يدى دون أن تحسب أى حساب لمثل هذا هو على من الحوارم ما دمت حيا وكل ما لدى منه من نصيبك ولن أفعل بك ما يكدر صفوك هذه الليلة لانك وقعت فى يدى دون جهد منى ودخلت بيتى بمثابة ضيف حقه الاكرام ولكن سيأتى اليوم الذى أجدك فيه وتكون ساعة الصفر بيننا أما الآن فأنت ضيف عزيز علينا حتى تغادرنا حيث تريد . وبقى خربوش لدى مضيفه معززاً

حتى تناول العشاء وتوادع مع مضيفه وعندما انصرف خربوش
واستمر في سيره لخطوات لم تتجاوز مبات ماشية صاحب
البيت . قال صاحب البيت لزوجته ماذا تقولين في ضيفنا .
قالت أقول لا بعد الليلة عداوة فنهض واقفاً وقال ياخربوش
عد إلينا فعاد إليه فأخذ صاحب البيت المقص وقص من شعر
رأس خربوش وقال أذهب حيث تريد أنك عتق الله لا بعد
هذه الليلة بيننا عداء فشكر خربوش لصاحبه ذلك العفو غير
المتوقع وعاد لقبيلته وأخذ مكانه المعهود بينهم ولم يوافه
الأجل المحتوم إلا وهو في سن التخريف وهكذا يكون العفو
عند المقدرة .

من عرف الله هانت مصيبته

عوض العوض من أهالى سكاكا حل عليه أربعة من العقداء يرافق كل منهم عشرة أشخاص والعقيد هنا قائد فرقة فى العرف العسكرى إلا أن تلك الفرقة ليست بنظامية مدربة بل هى مجموعة من الرجال غير محدودى العدد يلتفون ببعضهم وغالبا يكونون من قبيلة واحدة وهم شركاء فى السراء والضراء . أثر غزواتهم على القبائل .. قلت أنه حل عليه ضيوف مجموعهم أربعين شخصا أن لم يزيدوا قليلا ومن رؤسائهم ابن غويثم وكان وقت ضيافتهم لعوض العوض قريب المساء ورجل كعوض العوض يضاف فى منزله داخل المدينة لابد أن يتحرك قدر استطاعته لاعداد الوليمة المناسبة لمثل هؤلاء الرجال الذين يعتبرون فى نظر عامة الناس أصحاب مكانة لا بأس بها فوق أنهم أختاروا ضيافته عن غيره لما يعرفونه من توفر عنصر الكرم لدى مضيفهم وفكر عوض العوض فيما يفعل لضيوفه وقال فى قرارة نفسه لو أنا نحرت جملا لهؤلاء فان كل منهم سيقول أن الوليمة واجب لى ولمجموعتى ولكن سأنحر أربعا من الغنم على أساس لكل عقيد ومجموعته خروفا وحتى لا أكون مقصرا بحقهم فقام لتوه

ونحر أربعا من الخراف وكان لا يوجد لديه قدر (وعاء) يسع هذه الذبائح مجتمعة فعمل على اشراك قدرين بنار واحدة. وعندما وضع لحم ذبائحه بالقدرين عاد لضيوفه للتحدث معهم واعداد القهوة وتقديمها لهم كما جرت العادة عليه عند الناس عامة وفى أثناء جلوسه عند ضيوفه تناولت زوجته القربة وذهبت للتزود بالماء لانه لا يوجد بالمنزل كما هو الآن فى سائر المدن وكان لعوض ابنة فى السابعة من عمرها وابن لايتجاوز السنة الثانية ان لم يكن ينقص قليلا وفى أثناء غيبة الأم لجلب الماء استيقظ الابن الصغير من نومه حيث كان يغط فى نوم عميق .. استيقظ الصغير واتجه يحبو على يديه ورجليه نحو أشعة النار الموقدة لاصلاح العشاء بحثا عن والدته التى لم تزل غائبة ودفع بنفسه حتى صار بين القدرين فى قلب النار التى لم ترحم الصغير إذ جعلته هشيما تذوره الرياح وأثناء احتراق الصغير ظهرت رائحته لوالده عوض الذى نهض مسرعا نحو النار والقدرين ظانا أن القدرين قد تدفقتا على النار أثر فورانهما لانه يعلم أن زوجته فى هذه اللحظة غير موجودة وعندما وصل للنار وإذا به يرى ما لم يكن فى الحسبان . ابنه الصغير فحمة سوداء فى قلب النار فما كان من الرجل إلا أن حمد الله على كبر المصيبة التى قدرها عليه وتناول الطفل ولفه بخيش كان بجانبه ووضعه فى أحد أركان الغرفة وايقظ ابنته

الصغيرة أيضا وقال لها اذهبي لأعمامك النصر وابقى عندهم حتى أدعوك وعاد لضيوفه وكأن شيئا لم يكن ..

وبعد لحظات من جلوسه مع ضيوفه عادت زوجته المكلفة بطبخ هذه الوليمة الليلية غير المباركة فى لسان حاله واتجـــه إليها وقـــال أن الأولاد استيقظوا من نومهمـــا وبعثتهما لاعمامهما النصر حتى لا يزعجون الضيوف باصواتهما وحركتهما ويشغلونك عن العمل وتقبلت الأم كلام الأب بل استحسنت ذلك واستمرت بتجهيز عملها المناط بها وعند عودة الأب لضيوفه قابلته صغيرته عائدة هى الأخرى رغم توصيتها بعدم العودة فخشى عوض أن تعلم الأم إذا ما شاهدت البنت لوحدها بالحادثة وعاد لتوه وقال لزوجته عليك أن تكتمى حسرتك وتكونى عند حسن ظنى بك وألا سيكون فراقنا هذه الليلة فبهتت الزوجة أمام هذه الكلمات القاسية وأردف قائلا كونى مؤمنة بقضاء الله وقدره ابننا قد فارق الحياة بأسباب هذا العشاء والنار التى توقدينها . وهو أجله المحتوم لا محال وإذا علم الضيوف بالحادث فانهم سيتركون عشاءهم لا محاله ولكن عليك ضبط النفس حتى يتناولوا وجبتهم المعدة لهم ويذهبوا . وما كان من الأم إلا أن امتثلت لاوامر زوجها إذ تجرعت حسراتها داخل نفسها خشية شعور الضيوف بالحادث المؤلم حقا وكما قال رب

الأسرة ويمر الوقت على الأم المسكينة كثقل الجبل وينتهى طبخ الوليمة وتقدم للضيوف بنفس ضاحكة من المضيف وينتهى الضيوف من أكل الوليمة ويشدون رحالهم دون أن يعلموا بالحادث المؤلم وفيما هم سائرون فى طريقهم وبعد مضى عدة أيام على ضيافتهم لعوض العوض أتى من أخبرهم بالحادث فما كان من الجميع إلا أن اجتمعوا وقرروا بأن يغزو كل منهم لجهة معلومة وما وقع فى يده ورفاقه يكون من نصيب عوض العوض كتعويض لابنه الذى فقده بأسباب وليمتهم غير أن عوض العوض عندما احضروا له ما اجتمع فى أيديهم رفضه رفضا مطلقا .. بقى أن أشير إلى أن هذه القصة رواها لى معالى الأمير عبد الرحمن السديرى أمير منطقة الجوف وعرفنى فى وقتها على ابن عوض العوض الذى أتى بعد ذلك الطفل وهو فى الثمانين من عمره عندما عرفته وروى لى القصة كما هى ..

وكان الفراق

عاشا ببيت الزوجية الذى يخيم عليه الهدوء والصفاء كزوجين ارتبط بعضهما بالآخر لا يشوبهما أى شائبة .. إذ هناك تقدير لا نظير له من جانب كل منهما وعمل متواصل داخل المنزل من جانب الزوجة يكتسى بثوب الصمت إذ لا ازعاج لا مشاكل فكل ما هناك أنها عاشت مع زوجها هذا عشر سنين انجبا فيها أبنا اسمياه زيد وتوقف عن الانجاب لسبب من الأسباب بعد ذلك وخلال هذه المدة لم يسمع زوجها منها أى كلمة تكدر صفوه ولكن ذلك لا يعجبه إذ يريد منها أن تتباهى بحبه وتظهره أمام القريب والبعيد وعلى مسامع منه لانه يجد فى ذلك لذة غير أن الزوجة من النوع الصامت الذى لا يبيح بحبه ويكتفى الزوج بهذا الحب الذى يلمسه من خلال التعامل المنزلى المعتاد مما حدا بأبى زيد أن يستشف مشاعر زوجته نحوه ومدى حبها له فما كان منه إلا أن تظاهر أمامها أنه قد انتقل لمثواه الأخير أثر نومه ليلة البارحة فما كان من هذه الزوجة المطيعة بعد أن أصلحت ما يحتاجه زوجها من وجبة الأفطار كجارى العادة إلا أن تقدمت لزوجها بأدب بالغ لتوقظه من نومه وتبلغه بالاستعداد

لاستقبال ذلك الصباح البهيج ليؤدى ما كتب الله عليه ثم لينطلق كسائر الرجال لقضاء شؤونه ولكن الروج لم يسمع ولم يحس منها ذلك لانه انتقل إلى رحمة الله حسبما خطط له ليلة البارحة وهو يدير بنظراته فى هذا الكون الفسيح وتلح الزوجة بايقاظه مرة ومرات وفجأة تجد نفسها غير الهادية المؤدبة الصامتة دائما حيث يعلو صوتها بايقاظ زوجها ولكنها لم تفلح وهنا لم يسعها إلا أن تطوح بصوتها نحيبا باكية فقيدها الذى افتقدته بين عشية وضحاها .

وهى لم تحسب لذلك أى حساب رغم ايمانها الشديد بالقضاء المحتوم وبعد أن استعادت أنفاسها بعد عناء طويل قالت مخاطبة أبنها الوحيد (زيد) بهذه الأبيات :

يا زيد رد الزمل أَبى أَهل عبرتى

على أَبوك عينى ما يهون هميلها

راعى حلال الجار وان غاب جاره

واخو جارته وان غاب عنها حليلها

لا سارقت عينه لشقان ثوبها

ولا سال عنهـــا ولا مستسيلهـــا

عزاه كم من سابقن عقت جريها

برمح القنا والخيل حامن جفيلها

وكم خفره عليك تسكب أدموعها

وتمناك ياعذب السجايا خليلهـــا

موضحة فى أبياتها تلك الصفات الحميدة والخصال النبيلة والشجاعة النادرة وميل النساء له لشهامته وعفته وحفظه لحقوق الجار غائبا أو حاضراً . وعلى نغمات صوتها المشحون بالبكاء والحسرة يفيق الزوج ويتظاهر أنه يغط فى نوم عميق وتقول الزوجة لماذا عملت هكذا ويقول انى نائم أثر تعبى و ار هاقى أمس وليلة البارحة وتظهر الزوجة عدم قناعتها بأنه نائم وتقول أن عملك هذا لا مثيل له ولا يمكن أن يعمله أى انسان تدب فى قلبه الرحمة والشفقة على الآخرين ويقول أننى لم أقصد بك شرا ولكن أردت أن اختبر مدى حبك لى لاننى لم احظ منك طيلة حياتنا الزوجية بكلمة استشف منها ذلك الحب الذى تحجبينه عنى تحت رداء صمتك وتقول الزوجة لا يكفى انى عشت معك عشر سنين لم أغضبك

قط بل ابحث عما يرضيك وينال استحسانك ويرد بأن هذا لا يكفى الزوج من زوجته . وهنا تقف الزوجة على قدميها قائلة إذا كنت طيلة عشر سنوات لا تعلم بمدى حبى لك أو كرهى فمعنى هذا أنك إنسان غير حساس وأنا لا أرافق انسان يخلو من الاحساس والآن وقد حان فراقنا فوالله لن يلتم شملى بك بعد اليوم لوقطعت اربا من أهلى وتتجه لاثاثها وتتناول منه ما يلزمها و تذهب لبيت أبويها مودعة عش الزوجية الذى أمضيت به عشر سنوات دونما تفكر بالخروج منه فى يوم من الأيام ويقف الزوج مبهوتا أمام هذا التصرف غير المتوقع من زوجته ويندم على فعلته التى أدت إلى فراقهما ولكن لا يفيد الندم . ويحاول بشتى السبل عودتها ولكنه لم يفلح أما هى فلم يمض عليها أكثر من ستة أشهر حتى انتقلت لباريها وربما يكون للفراق علاقة بذلك والله أعلم .. تعمدت اخفاء الأسماء وان كانت معروفة عند بعض الناس ورغبة بعدم التشهير بهما وان كان ذلك لا يقض مضجعهما لان عشرتهما بنيت على الشرف والعشرة المشروعة للناس من لدن الحكيم العليم .

من حلف له بالله فليصدق

انتشر خبر فرس ذات بيت جيد وأنها تسابق الريح كما يقولون أو كما قال الشاعر عبد الله بن سبيل تسبق ولا تسبق نهار المثاراه . البيت .. فتكونت فكرة اختطافها فى نفس سلطان الادغم من قبيلة سبيع المعروفة حيث صارح الحاضرين الذين كانوا يتحدثون عن تلك الفرس باسهاب عن صفاتها ومميزاتها وأنها بحوزة رجل ذى شكيمة قوية لا تلين إذ لا يجروء أى إنسان أن تطأ قدمه بأرض يحل بها فكيف بمن سيخطف فرسه . ؟ ولكن سلطان الادغم لا يعير تلك الصفات أى اهتمام لانه التزم أمام الحاضرين بغزو تلك الفرس والفوز بها حتى لو كلفه ذلك حياته وفى ذات ليلة باردة نفذ سلطان الادغم ما التزم به وذهب راجـــلا فى سبيل العودة لاهـــله وهو ممتط صهوة تلك الفرس ومرت الأيام سريعة وإذا بسلطان بأرض صاحب الفرس وما هى إلا لحظات تمر وإذا بسلطان يعرف منزل صاحب الفرس والفرس نفسها ويختفى عن الأنظار فى ذلك اليوم حتى اقترب الليل وأرخى سدوله على الكون وينهض من مخبئه إلى هدفه حتى وصل للفرس واطلق حديدها (قيدها) بعد أن اهتدى لمفاتيح القيد وانتشلها

من تحت مخدة صاحبها واستوى على صهوتها وحرك حبل رسنها (مقودها) لتنطلق به فاذا بفلوة الفرس (ابنتها) تعدو مع أمها وعلى وقع حوافر الفرس وابنتها يصحو صاحب الفرس الحقيقى من نومه العميق ولكنه لم يجد أى حيلة باسترداها إلا مناداة خاطف الفرس (مخاطبه) إذ يقول بصوت مسموع يا رجل الذى اخذت الفرس عليك الله من كل ما تخشاه أعد لى ابنتها بعشر من الإبل أنت تختارها على نظرك من إبلى هذه والفرس لك فيجاوبه سلطان دون خوف أو وجل أشهد الله على ما تقول فيرد صاحب الفرس اللهم أشهد ويعود سلطان الادغم من أجل تلك الكلمة البسيطة فى لفظها العميقة فى معناها لان سلطان يعرف أن الرجال الذين يتصفون بالمروءة والشجاعة والكرم والعفة يلتزمون بكلامهم مهما كلفهم ذلك ويقول سلطان لصاحبه صاحب الفرس أمسك بفلوتك (ابنة الفرس) ويمسك بها صاحبها ويقول سلطان أمسكت بها جيدا ويرد عليه بنعم أمسكتها ولكن ترجل عن ظهر فرسك لنتعارف على بعضنا ونقوم بواجبك فأنت قادم من بعيد لا محالة وتأخذ الجمال التى اشتريت بها الفلوة منك ويرد سلطان الله يزيدك من زوايد فضله قصدى اخذته والفلوة مع عشر النياق هدية منى لك وأنا سلطان الادغم من سبيع واسلم عليك وقد أتيت من ديارى لاخذ هذا الفرس فقط ويرد عليه صاحب الفرس عليك بالهنا

والعافية أشهد انك تستاهل وإلا لما وصلت إليها ويفترقان دون أن يمس أحدهما الآخر بأى أذى فى نفسه .

ومن هنا يتضح لنا مدى صدق الكلمة لدى العربى ومدى الايمان العميق الذى يختزنه قلبا هذين الرجلين حيث حلف الأول للثانى بالله فصدقه وهو المعتدى على منزله واعز ما يملك فى ذلك الوقت وهو الفرس الذى يمتطى صهوتها كلما ألمت بقومه ملمة تحتاج للكر والفر ونحمد الله على هذا الأمن الوارف الظلال والعيش الرغيد الذى نعيش به وننعم والله من وراء القصد .

رب ضارة نافعه

حدثني والدي زبن بن عمير يرحمه الله يقول كنت على راحلتي قادم من الوشم قاصدا مدينة الرياض لقضاء بعض الحاجات وكان في ذلك الوقت السلب والنهب سايداً قبل أن يستتب الأمن الذي نحن فيه الآن بفضل حكومتنا الرشيدة قال وعندما وصلت لشعيب (الحيسية) قبل أن أصل للعينية انخت ذلولي (راحلتي) وانزلت عفشي عنها واصلحت ما احتاجه من طعام وشراب ووضعت رأسي على يد راحلتي خشية اختطافها دون علمي وحاولت أن أنام ولكن أفكارا راودتني اذهبت النوم عني ..

وإذا بمجموعة من الرجال يأتون و (ينيخون) ركابهم على مقربة مني فنهضت واتجهت إليهم وجلست عندهم ودار الحديث فيما بيننا بشتى القصص ولفت انتباهي قصة أوردها أحدهم يقول فيها ان والده في هذا المكان وعلى مقربة منه وفي أثناء عودته من المكان الذي كان يقصده أصلا . أتى هنا (بالحيسية) في وقت ما قبل الغروب بقليل وشاهد قطيعا من الغنم تنحدر من الوادي فهم باقتناص أحداهن كوليمة لعشاه وبخلسة عن أنظار راعيها وإذا به يرى رجلاً

آخر قد نوى ما هدف إليه والدى فأمسك بخروف قبلى حتى تجاوزه القطيع فحمل الخروف على كتفه بعد أن نحره واتجه لترعة بالجبل المقابل وأوقد النار لشوى فريسته وكل هذا قبل أن تغرب الشمس فقال والده فى قرارة نفسه أن هذا الخروف سيكفينى وصاحبه وما على إلا الصبر فى مكانى هذا حتى أعرف أن الخروف قد استوى (نضج) واذهب إليه واشاركه الأكل فى الخروف وفعلا نفذ ذلك . وعندما أيقن أن الخروف على وشك الانتهاء نهض من مكانه قاصدا الرجل وفى أثناء سيره شاهد ذيبا يهز ذيله وعرفه وكشر بأنيابه وقال فى نفسه أن هذا الذئب سيعتدى على أشلاء الخروف التى لم يشويها الرجل وما علم أن الرجل قد نام بعد أن دفن لحم الخروف بالنار وتوقف عن السير ليرى ماذا يفعل الذئب وعندما قفز الذئب نحو فريسته وإذا به يبقر بطن الرجل ويترك أشلاء الخروف جانباً ويركض صاحبنا لنجدة الرجل ولكن الذئب يستمر بنهش لحم الرجل الذى فارق الحياة ولم يهتم الذئب بصياح أو يأبه لصراخ والدى الأمر الذى ترتب معه خوفه مما أصاب الرجل صاحب الخروف وصار يفكر فى قرارة نفسه هل يهرب طالبا للنجاة وهو بأمس الحاجة للأكل أم يتسلل للحم المدفون بالنار ويتناوله برأس حربة رمحه وأخيرا يتجه للحم وعندما وصل إليه استله برأس الرمح ورجع يمشى نحو الوراء والذئب ينظر إليه ويكشر أنيابه دون

أن يتحرك عن فريسته البشرية . ويبتعد صاحبنا عن الذئب رويدا رويدا حتى اختفى عن نظر الذئب ويهرول مسرعا وهنا غربت الشمس وجلس صاحبنا يأكل من اللحم المشوى ولكن كل الأرض وكل الأشجار والأحجار تصورت فى عينيه أنها مليئة بالذئاب المفترسة . مثل هذا الذئب وأصابه شيء من القلق والخوف فنهض من مكانه يبحث عن مكان يجد فيه الهدوء والراحة النفسية وعندما أعياه التعب أراد أن ينام ولكن النوم لم يصل لعينيه نتيجة لخوفه وفزعه وتصوراته بأن كل الأرض مليئة بالذئاب المفترسة وقرر أن يحفر له مخبأ فى جانب الوادى يقيه شر الذئاب ويبعد عنه وساوس الخطر التى تلاحقه فى مخيلته خاصة وانه لا يزال يحمل بقية اللحم المشوى معه ليسد به رمق نفسه عند الحاجة ويقول الراوى أنه حفر جحرا واختفى به وسد فوهة الجحر ببعض الأشجار الصغيرة كالعرفج والرمث وانطوى بداخله حتى لا يراه أحد وفيما هو يحاول النوم وإذا بأهل ركاب أربع يأتون لنفس المكان ويوقدون نارهم لاصلاح ما يحتاجونه ويتجاذبون الحديث فيما بينهم على أمل أن يتسوى (ينضج) عشاهم فقال أحدهم يا جماعة ألا تشمون ما اشمه فقالوا بلى والله أنها رائحة لحم مشوى وهنا خاف صاحبنا أكثر مرددا فى نفسه لو عثروا على وأنا بهذه الحالة أو الصورة فانهم سيقتلونى دون شك ولكن سوف أفاجئهم بخروجى من هذا

الحجر مرددا كلمة لحم لحم وسيهرب الرجال لا محال تاركين متاعهم وركابهم فى سبيل النجاة من شر الخارج من الأرض وتتم هذه الفكرة ويهرب هو الآخر فى جنح الليل لينجو بنفسه دون أن يتعرض إلى أى شىء من متاعهم وركابهم وبعد ذلك يحرم الحنشلة التى كان يمتهنها وهى التى ساقته لهذه الأرض حتى توفاه الله ولرب ضارة نافعة .

سقت هذه القصة ليعرف القارئ ماذا كان عليه أباؤنا من قسوة فى الحصول على لقمة العيش .. والله من وراء القصد .

الفرق بين عتبات البيوت

فى عام ٧٩ هـ وفى فصل الصيف كنت فى مهمة رسمية وكان يرافقنى فى تلك الرحلة أربعة من العمال اليمنيين وسائق السيارة المدعو محمد القحطانى وكانت جهة عملنا شمال الرياض بحوالى خمسمائة كيلو متر وفى أثناء عودتنا للرياض ابتليت سيارتنا الفور باى فور بكثرة تنسيم أحد عجلاتها وكان لايوجد معنا عجلة احتياطية حتى أننا استهلكنا على تلك العجلة علبتين من الرقع وكانت المسافة من بلدة الارطاوية حتى النقطة التى نفذ بها آخر رقعة من هاتين العلبتين يوم وليلة رغم قصر المسافة التى لا تزيد عن ٦٠ كيلو مترا فبتنا آخر تلك الليلة وكان ينقصنا كل شىء .. الماء والطعام وعند بزوغ نور الفجر استيقظنا لأداء الصلاة المكتوبة وعدنا بعدها للنوم عسى أن تمر بنا سيارة تسعفنا ولو بنقل أحدنا للرياض ليتمكن من اسعافنا هو الآخر ولكن هذا لم يحصل إذ لم تمر بنا أى سيارة وقد حاولت النوم مثل رفاقى ولكن دون جدوى ونهضت واتجهت لمكان مرتفع يقع بجانبنا للاستطلاع وكان الوقت مع بزوغ الشمس فعندما اعتليت قمة هذا المرتفع وإذا بى أرى قرية بها بساتين من النخيل وفى اتجاه الغرب

عن موقعنا تماما فاعتراني شيء من الفرح واتجهت نحوها دون علم زملائي وعلى أساس أنها قريبة وكان ذلك اليوم يوم جمعة وواصلت السير ومضى الوقت مسرعا ولم أصل لتلك القرية إلا بعد أن خرج أهلها من صلاة العصر بقليل فاتجهت لاقرب بستان عسى أن أجد فيه ماء يعيد لي قواي المنهكة التي افتقدتها نتيجة سيري على الأقدام في ذلك اليوم الشديد الحرارة وإذا برجل قد أخذت السنون ما أخذت منه يتوكأ على عصا فسألته شيئا من الماء فقال لا يوجد هنا ولكن تفضل معي للمنزل واتجهنا سويا لمنزله الذي يبعد عن ذلك البستان مايقارب مائتي متر تقريبا وقيرع مضيفي الباب وإذا بعجوز تفتح الباب لا اعتقد أنها تعودت على استضافة عابر السبيل أو على فعل الخير فبادرتنا بكلماتها النابية بقولها لا هلا ولا مرحبا ما هي الفائدة التي أتيتنا بها لقد خبث مني ما طاب وأردت العودة ولكن مضيفي أصر على دخولي ودخلنا مجلس الرجال الذي به مجموعة يسيرة من الدلال ، وأباريق الشاي وضعت بشكل غير منتظم في ساحة الوجار (موقد النار) الذي لا يوجد به نار في تلك اللحظة وعندما جلسنا عاودنا صوت المرأة وكلماتها النابية موجهة لمسامعي إذ جلست في حلق المجلس . وأمرها مضيفي أن تأتي بالماء ولكنها لم تفعل فضاقت بي الأرض ذرعا وقلت لمضيفي لو سمحت دلني على مواقع الدكاكين لديكم (المحلات) التجارية ولم يمانع في ذلك إذ

نهض قائلا توكلنا على الله وكنت انتظر من هذا الرجل أى
عذر يبديه كأن يقول لا تواخذنا بما حدث أو أن المنزل
لا يخصنى وأنا ضيف مثلك أو أن المرأة مختلة الشعور ولكن
لم يحدث من ذلك شيء وواصلنا سيرنا لمسافة قد تصل لاربعمائة
متر عن منزل مضيفى وقال انظر هذا الدكان الوحيد فى
بلدتنا وستجد به كل شيء . ثم انصرف راجعا وكان الدكان
مغلقا فاتجهت لباب الدكان وقرعته وإذا به يفتح من الداخل
من قبل امرأة فى منتصف العمر على ما يبدو لى فقالت ياأهلا
ويا مرحبا تفضل ودخلت للدكان وقالت أجلس فجلست
وقفلت راجعة لداخل المنزل إذ أن الدكان جزء من منزلها
وبعد لحظات ليست بالكثيرة حضرت ومعها وعاء به أرز
وقطعة لحم من جمل فقالت تفضل هذا غداؤك وعشاؤك إن
شاء الله يأتى وسامحنا بالتقصير وانصرفت ويعلم الله كم كان
لهذا الغداء المتأخر عن وقته من قيمة فى نفسى ولذة فى فمى
لا لانه سيقطع الجوع عنى ولكن لانه قدم من نفس طيبة
راضية فتناولت الغداء وأكلت ما كتب الله وبعده قدمت لى
القهوة والشاى اللذين قضيت عليهما قضاء تاما وبعد ذلك
دعوتها أذ لا تجلس فى الدكان عندى خشية مضايقتى فأتت
وفاتحتها فيما أريد شراؤه وهو علبة من الرقع لعجلات السيارة
وشيئا من البنزين والزيت وحصلت على طلبى واستأجرت
سيارة كانت بالبلدة لتقلنى لرفاقى الذين لا يعلمون عنى أى

شيء وعندما بلغت الساعة الثانية والنصف ليلا بالتوقيت الغروبي وصلت لزملائي وتدبرنا أمرنا واتجهنا لتلك القرية للتزود بالماء وبعض الأطعمة ووصلنا سيرنا للرياض في اليوم الثاني وسلمنا بحمد الله من الموت بعد أن كدنا نموت عطشا وجوعا ومن هنا يتضح لنا الفرق الشاسع بين عتبات البيوت إن جاز لي التعبير وانطباق المثل الشعبي (ما غبنا إلا بالنضا والحلايل) والنضا تعني الهجن الاصيلة والحلايل تعني ربات البيوت .

صحوة ضمير

طاحس وطاحوس أخوان من قبيلة عتيبة يمتهنان الحنشلة (السطو) عندما كانت الحنشلة عملا مألوفا لدى الناس ففى ذات يوم عزم الأثنان على الكسب من أموال الآخرين ومن إحدى القبائل النائية وعلى الأصح من إحدى القبائل المعادية لهم حينذاك وبدأ السير متجهين إلى أراضى تلك القبيلة ومرت الأيام ووصلا إلى مرابع القوم واختفيا فى مكان آمن ترقبا لدخول الليل حتّى ينطلقا لتحقيق هدفهما وعندما عم الظلام الكون نهضا من مخبئهما لتحقيق هدفهما ولما وصلا للبيت المنسوج من شعر الماشية الذى يقصدانه وهو يبعد قليلا عن سائر البيوت بقى طاحس (قعيده) أى حارسا لاخيه عن بعد وتقدم طاحوس للإبل التى يريد أن يأخذها غنيمة وشرع وشرع باطلاق عقلها واحدة تلو الأخرى وإذا بكلب صاحب البيت والإبل يأتى إليه ويهز بذيله فرحا بطاحوس الذى وقف مبهوتا أمام حركات الكلب غير المتوقعة لرجل يقوم بسرقة إبل أهله وما كان من طاحوس إلا أن أمسك مجموعة العقل التى استطاع اطلاقها واتجه لشقيقه ليبلغه بما حدث من هذا الكلب وعندما وصل إليه وإذا بالكلب يعانق أخاه ويبدى له

شيئا من الفرح والبهجة بوجودهما ويتشاوران فى أمر هذا الكلب ويستعيدان ذاكرتهما لربما يعرفانه ولكن دون جدوى ويقررا العودة للإبل لمعرفة وسمها (علامتها المميزة) وهنا يهتديان لمعرفة الكلب وصاحبه إذ يتضح لهما أن الكلب يعود لفلان الفلانى من قبيلة معروفة ذات حسب ونسب قد جاد الزمان بمعرفته منذ سبع سنوات خلت حيث جاورهما فى أيام فصل الربيع وعندما انقضى فصل الربيع افترقا عنه كل منهم متجها لاراضى قومه وانقطع ذكرهم عن بعضهم بعد ذلك ولكن معرفة الكلب لهما اعطاهما شيئا من الاحساس بما للمعرفة والجيرة من حقوق فتشاورا فيما بينهما واتفقا أن لا يكون الكلب أطيب معرفة منهما وابلغ مروءة واتفقا أن يضعا العقل التى أخذاها بطنب البيت (حبل البيت) حتى إذا أفاق صاحبه أى صاحب البيت من نومه يعرف انهما كادا أن يأخذا إبله وعفيا عنها عن طيب خاطر عندما عرفاه ووضعا العقل بالمكان الذى قرراه وذهبا لمكان آخر بعيد كل البعد عن موقع جارهما هذا وجماعته وعندما أفاق صاحب البيت من نومه لاحظ العقل على الطنب فألتمس أثر من علقها على الأرض واستطاع أن يتعرف عليهما من أثرهما حيث اتصل بهما فيما بعد وابلغهما ذلك بل شكرهما على تركهما لإبله ومن هذه الحادثة يظهر لنا أن الوفاء ليس وقفا على الانسان بل تجاوزه للحيوان كما فى هذه الحادثه . .

بين الطمع والشيمة

حدثنى طامى بن عمرة الذى يناهز الثمانين من عمره الآن وهو شيخ وقور تتوسم فيه الخير حينما يحدثك وتحس بصدق عباراته لكونه لا يلجأ لتفخيمها وتصويرها بأشياء قد تعطيها نوعا من عدم القابلية لدى الآخرين . قال رافقنى أحد أقاربى للبحث عن الرزق أيام كانت الحنشلة شيئا مرغوبا فيه والحنشلة هذه ما يعرفه الناس بالسرقة غير أنها كانت فى ذلك الوقت من المباحات فى أعراف القبائل بل أن الحنشولى يفتخر بافعاله أمام الآخرين ولا يرى فيه الناس عيبا كما أنه لا يعتدى على الأقربين والمعارف إذ أن الاعتداء يكون على أموال أعدائه وأعداء قبيلته اينما كانوا وحيثما حلو وبطريقته الخاصة وما وقع فى يده منهم يعتبر مباحا فى أعراف القبائل كافة ويقـــول طامى أنه ترافق مـــع قريبه هذا إلى مرابع قبيلة بعيدة بقصد النيل من مواشيها وغذا السير بالسراء حتى وصلا مرابع القوم واختبئا فى مكان رأياه آمنا لهما عن أنظار القوم حتى أرخى الليل سدوله وكانت تلك الليلة دامسة الظلام إذ لا قمر فيها وعندما هما بالانطلاق نحو الحى للحصول على ما يرغبان وإذا باشتعال النار فى أحد البيوت المكونة من شعر

المواشي فبقيا فى مكانهما ترقبا لأنطفاء النار ليعم السكون كامل الحى ولكن اشتعال النار طال أمده عليهما فقال أحدهما للآخر لابد من استطلاع الأمر ما قصة هذه النار فلربما اشتعلت نتيجة لبقايا النار السابقة حيث توفر لها بعض الحطب من اطرافها نتيجة قوة الرياح ويؤيد الثانى رأى الأول ويذهبان سويا للبيت الذى تشتعل به النار ويسلطان انظارهما خلسة نحو النار عبر الرواق (ثقب من ثقوب البيت) فاذا بنظرهما يقع على امرأة طاعنة بالسن توقد على قدر صغير (وعاء طبخ) به شيء من الأرز همت بأكله بعد أن هجع الناس خشية مشاركة الجيران لها بهذا العشاء القليل الذى لا يتوفر فى ذلك الحين عند أغلب الناس أقصد الأرز فقال طامى يا صاحبي أننا بحاجة ماسة للطعام قبل الكسيبة أى قبل أخذ الإبل فقال صاحبه وما رأيك قال طامى سوف اتسلل للقدر بغفلة من المرأة وانتشله من فوق ناره ونذهب به بعيدا لنأكل ما بداخله فان لنا سبع ليال لم نأكـــل أى شيء سوى ضب أمسكنا به فى أثناء طريقنا ويوافق صاحب طامى على هذا الرأى ويتقدم طامى للقدر بغفلة من صاحبته ويخطفه ويمر بصاحبه ليبادله نقل القدر الذى نزعه لتوه من النار وكان بمثابة النار نفسها وستمران به حتى وصلا لمخبئهما السابق ويتقابلان عليه ويأكلان ما بداخله من الارز هنا تتدخل الشيمة العربية بالموضوع ويقول طامى لصاحبه أن هؤلاء القوم حرمت علينا مواشيهم لأن

طعامهم فى بطنينا ويقول صاحبه الطعام لم يقدم لنا عن طيب خاطر بل نحن الذين حققناه لانفسنا ويصر طامى على عدم الاعتداء عليهم مرة أخرى بسبب ذلك الطعام ويرضخ صاحبه للأمر الواقع وينطلقان لمرابع قوم آخرين بعيدين عن هؤلاء القوم الذين حالت الشيمة العربية دون الاعتداء عليهم من قبل طامى وصاحبه .

وبقي المعروف بين الرجال

الخيول العربية كان لها شأن عظيم لدى العربى فى قديم الزمان عندما كانت أهم السلاح الحربى (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله) الآية . ففى أحد المجالس العربية كان يدور الحديث عن فرس زيد من الناس إذ لا يشق لها غبار أضف إلى ذلك أنها ذات موبط يمتاز عن غيره بالجودة والأصالة وكان أحد الحاضرين فى المجلس عبد الله السيف يستمع لاوصاف الفرس التى يمتلكها شخص من قبيلة ثانية ومن الرجال الذين تخشى سطوتهم ويهاب ميدانهم أنه زيد العنيد من قبيلة كذا ولكن عبد الله السيف دار بخلده أن يكسب هذه الفرس لتكون من ممتلكاته الخاصة ولكن بطريقة غير مشروعة إذ هم باختطافها خلسه من بيت صاحبها مهما كلفه ذلك من مشقة وعناء وما يضيره ذلك ما دام دأبه دأب غيره فى ذلك الوقت الذى لا يعاب الرجل فيه إذا قام بغزو من أجل فرس معروفة واختطفها من بيت أهلها وهو مايسمى (الحنشلة) بل كان الرجل إذا فعل ذلك اعتبر فى أعين الآخرين ذا مهابة ومكانة مرموقة وصار يشار إليه بالبنان لا فى قبيلته فحسب ولكن عند القبائل الأخرى التى تسمع

باخباره وفى ذات ليلة مظلمة موحشة ينجع عبد الله السيف
خلسة إلى أن يدخل بيت صاحب الفرس المنسوج من شعر
الماشية ويختبيء فى أحد أركانه وعيناه مسلطتان على تحركات
زيد العنيد عسى أن يعرف أين يضع مفاتيح الفرس التى أتى
من أجلها وفعلا يتحقق له ما أراد إذ حفر زيد للمفاتيح قرب
أوانى القهوة ودفنها بالتراب ثم غطى بنوم عميق بجانبها
فتسلل عبد الله السيف إلى المفاتيح وأطلق حديد الفرس
واستوى على صهوتها وعندما خرج من حرم البيت إذ برجل
يقابله ويطلب اشراكه فى هذه الفرس . ويقول عبد الله كلا
لست بشريك أتيت لوحدى وأنت لوحدك ولا نعرف بعضنا
ويقول الرجل طالب الشراكة أننى والله غازيها — يقصد
الفرس — من مسافة بعيدة ولكنك سبقتنى عليها ويقول
عبد الله ليس بيننا ما يلزمنى باشراكك معى فى هذه الفرس
وحظى تغلب على حظك ويقول الرجل هذا صحيح ولكن
اقبلنى رفيقا لك فى الطريق ويرد عبد الله الله يحييك على
اقدامك — يعنى على السير راجلا — ويجدا بالسير عبد الله
راكب على فرسه والرجل يمشى راجلا ويطول المسير بهما
وهما يتحدثان عن كل شيء وتأبى نفس عبد الله أن يستمر
راكبا ورفيقه يمشى راجلا ويقول عبد الله يا رجل أنا تعبت
من الركوب وأنت تعبت من المشى ولكن عليك أن تمتطى
الفرس وأنا أسير على قدمى حتى ترتاح أنت ثم أركب .

وكانت فرصة لهذا الرجل أن يغتنمها ولبى طلب عبد الله ويركب الفرس ويطول المسير بهما ويطول سير عبد الله منتظرا نزول الرجل عن الفرس ليمتطيها هو فقد أعياه السير على الاقدام . ولكن الرجل لم يخطر بباله ذلك ويقول عبد الله أنا تعبت من نقل البندقية عـــلى كتفى ولكن خـــذها معك عـــلى الفرس . فى سبيل أن ينتبه الرجـــل لحاجة عبد الله بالركوب ولكن الرجل لم يستجب لما يهدف إليه عبد الله بل تناول البندقية ووضعها فى أحضانه وأسرع فى حركة الفرس فقال عبد الله يا رجل إياك والسرعة فانى تعبت من السير والفرس كذلك ويرد عليه الرجل بما لم يكن فى الحسبان إذ يقول الفرس والبندقية الآن أصبحا فى حوزتى وهذا ما كنت أهدف إليه بمسايرتى لك وهما عليك الآن أبعد من النجوم فى السماء . واندهش عبد الله لهذه الاجابة القاسية الحشعة غير المتوقعة ويصمت برهة من الزمن ويقول عبد الله أنت عازم على ما تقول فيقول الرجل نعم ويسرع بحركة بالفرس ويقول عبد الله اسمع منى هذه الكلمة وبعدها مع السلامة ويقول الرجل أسرع بها دون أن تدنو منى ويقول عبد الله معك أمانة إذا أحد سألك كيف أخذت الفرس قل أخذتها من مربط أهلها ولا تقل أخذتها من رفيقى .. فقال الرجل وماذا تستفيد من هذا ويقول عبد الله أعرف أننى لن استفيد شيئا ولكن لا أريد أن يضيع المعروف بين الرجال فيصمت

الرجل مبهوتا لهذه الاجابة بعيدة المعنى ثم يقول والله أنى لم اقدم إلا لهذه الفرس وقد أتت بحوزتى بعد أن يئست منها ولا فكرت فى اعادتها إليك ولكن ؟ جوابك الزمنى باعادتها وها هى خذها وأنا استودعك الله واستر على ما واجهت منى ويقول عبد الله الحمد لله ان الناس لا زالوا بخير إذ يخشون المعيبة ويجتنبوها ويعود عبد الله فائزا بما دار فى خلده لأول وهلة بعد أن كاد يفقده نتيجة ثقته المفرطة بقى أن تعرف عزيزى القارىء أن هذه القصة ليست من نسج الخيال وانما هى حقيقية واقعة أما اسماء أبطالها فمستعارة .

قل لن يصيبكم الا ماكتب الله لكم

حدثني عبد العزيز يوسف الغريس من أهالي حائل . قال كانت الطرق غير معبدة بالطبع وكنا نقضى مدة ثلاثة أيام من حائل إلى الرياض بسبب وعورة مسالك الطريق انذاك وفى أحد الأيام كنا مجموعة تصل لخمسة عشر شخصا ما بين رجال ونساء واستأجرنا جميعنا أحد الوانيتات من نوع (فورد) عندما كانت سيارة الفورد فى مقدمة السيارات المستوردة فى بلادنا والتى منع استيرادها فيما بعد على أثر تعامل شركتها مع عدونا الأول اسرائيل استأجرناها من الرياض لتنقلنا لمدينة حائل وكان وقت انطلاقنا بها عصرا عبر الطريق القديم الذى يمر بالجبيلة فالعينية فالحسية و (سبع الملاف) فالبرة ثم مرات ولم نصل لمارات إلا قريب العشاء الأخير فبقينا فى مرات ما يقارب الثلاث ساعات لغرض الشرب والطعام والراحة الجسمية امتطينا السيارة بعدها وعبرت بنا الطريق المعهود فنفيذة فالسر الكثبان الرملية المعروفة وعندما خرجنا من نفوذ السر وقفنا لتزويد عجلات السيارة بالهواء لاننا انقصنا هوائها عندما دخلنا منطقة الرمال وعندما نزلنا لهذا الغرض وإذا باحدى النسوة الموجودات

بالسيارة تصرخ بأعلى صوتها وأبناه وعندما استفهمنا منها عن ما حل بها علمنا أن معها طفلا تحت سن السنتين كان يغط بنوم عميق في حضنها وأنها هي الأخرى كذلك كانت تغط بنوم عميق أثناء سيرنا بالطريق وأن الطفل ارتفع من حضنها وهوا للارض وهى لا تعلم وكان سقوط الطفل نتيجة لميلان السيارة وكثرة ارتفاعها وانخفاضها مع الأرض ووعرة المسالك حينذاك وقررنا أن نعود على نفس خط سيرنا عسى أن نجد الطفل لنقوم بتجهيزه اتباعا للسنة فركبنا خمسة أشخاص فى الصندوق (حوض الونيت) وأثنان مع السائق فى داخل غرفة القيادة المعروفة (بالغمارة) وسلكنا نفس الطريق تل يرفعنا وآخر ينزلنا لمسافة قد تصل لمنتصف النفود وإذا بنا نرى الطفل على جانب خط سيرنا فاوقفنا السيارة وتسابقنا الطفل وعندما وصلنـــا إليه وإذا بحلمة الثـــدى الصناعى فى فمه يمصها وكأنه لم يسقط على الأرض من على السيارة فحملنا الطفل وعدنا به لامه المسكينة التى استلمته وهى لم تصدق أنه حى يرزق إلا بعد مداعبتها إياه ومشاهدة حركات يديه ورجليه وحمدنا الله جميعا على سلامة ذلك الطفل وواصلنا سيرنا ولم يعترضنا بعد ذلك ما يكدر صفونا إلا وعورة الطريق وصعوبة المسالك عكس هذا اليوم الذى شملت الطرق المعبدة فيه كافة أجزاء مملكتنا الحبيبة .

وقفة للتاريخ

حدثني والدى يرحمه الله قال كنت وسعود بن غريب بالمجمعة ضيفين لعبد الله بن عبد الجبار وهو والد عثمان وفهد الأول مدير عام المستودعات بالزراعة والثانى دكتور فى مستشفى الشميسى إذا لم تخنى الذاكرة وهو من الرجال الافذاذ الذين قلما يجود الزمان بمثلهم من حيث التعامل مع الناس والكرم .. الحاتمى الذى طبعت نفسه عليه حتى أنه فى أغلب الأحيان يستدين لاكرام ضيوفه إذ أن منزله لم يغلق فى يوم من الأيام سواء كان موجودا أو مسافرا .

وكنا فى ضيافته مكرمين وعندما هممنا بالرحيل إلى أهلنا وذوينا فى بلدة نفى وإذا برحائلنا محملة بشتى الأطعمة لا لأستعملنا الشخصى وانما لاستعمالنا البيتى أى لنا ولاسرتينا . وودعنا ابن عبد الجبار والسنتنا تلهج له بالدعاء لما لقيناه فى جانبه من كرم الضيافة ولطف الجانب شاكرين له فضله ومعروفه وعندما أخذنا بمقاود ركابنا وإذا بامرأة من قومنا تأتى إلى وتقول خذ هذه سبعة ريالات أمانة معك تسلمها لشقيقتى فى بلدة نفى وإذا بالريالات موضوعة فى قطعة من القماش الأسود وفكيت ربطها وعددت الريالات وهى واقفة

ووجدتها كما قالت فقلت لها إن شاء الله تصل لشقيقتك .
وعندما ودعنا هذه المرأة قال صاحبي سعود يازبن مر بنا على السوق واشتر لنا ذبيحة نأكلها مع الدرب من هذه الريالات الأمانة التى معك وإذا ما وصلنا لنفى نبتاع من حمولة ركابنا ما يسدد القيمة التى انتقصناها من المبلغ وسلمناه لصاحبته واستحسنت هذا الرأى ومررنا بالسوق واشترينا عنزا بمبلغ (ريالين) فضة سعودى وبهذا بقى من الامانة خمسة ريالات وواصلنا سيرنا حتى جاء وقت ما بعد العصر فانخنا ركابنا وانزلنا ما فوقها ونحرنا العنز وسعى كل منا على حده بحثا عن الحطب لان الأرض التى نحن بها شحيحة بالحطب فوجدت أنا يازبن مراحا للإبل (مبات) وشرعت بتعبئة شليلى (أسفل الثوب) من مخلفات الإبل وإذا بى أجد قطعة من القماش الأسود بداخلها شيء فظننت أنها ربطة الامانة سقطت منى أثناء انحنائى لتناول (الجلة) مخلفات الإبل — وبعد أن وصلت مكان عفشنا فكيت الربطة وإذا بها سبع ريالات فضة سعودى فتناولت امتعتى ابحث عن الأمانة فوجدتها فأبلغت صاحبي ذلك وقال ان الله قد عرف نيتنا وعوضنا عن قيمة ذبيحتنا بأكثر منه ووصلنا لبلدة نفى باليوم الثامن لسيرنا من المجمعة وسلمنا المبلغ كاملا لصاحبته أما الخمسة فقد اقتسمتها مع صاحبي وسددت طارئا طرأ .. تصور عزيزى القارىء مدى الهم

الذى نقلاه من سداد الريالين فيكيف تتوقع العيش فى ذلك الوقت وماذا ترى فى ابن عبد الجبار انه كريم بلا شك فليرحم الله الجميع ..

بسبب صديقي كدت اموت

أمضيت فى البلد الشقيق الكويت .. ردخاً من الزمن ساقنى الشوق بعد ذلك لرؤية مسقط رأسى وبلادى المملكة العربية السعودية فذهبت لموقف السيارات التى تعبر الطريق من الكويت إلى المملكة وصدفة التقيت هناك بأحد أقاربى وصديقى الحميم فى نفس الوقت . وسألنى لماذا أنت فى محطة السيارات ؟ فأخبرته بنيتى فقال اننى سأذهب المساء بسيارتى للمملكة ويشرفنى أن تكون معى نتبادل أطراف الحديث سويا ونستعيد الماضى من ذكرياتنا فوافقت على مرافقته بشرط أن يوصلنى لبلدة قرية الشمالية لان أهله يقطنون قرب قلمة الكبريت (بئر ارتوازى) وهم آخر نقطة مشواره ولم يمانع فى ذلك قائلا انى يوميا أذهب لقلمة الكبريت للتزود بالماء فان وجدنا سيارة تذهب منها لقرية فذلك المطلوب وأن لم تجد فسأجعل تزودى بالماء من قرية فالفرق بالمسافة بسيط جدا بالنسبة لموضع أهلى إذ لايتجاوز عشرة كليو مترات فقط وهذه مسافة يسيرة على السيارة فقلت لا بأس طمعا بمحادثته أثناء الطريق لكونه من أعز أصدقائى فى ذلك الوقت فانطلقنا من الكويت ليلا وقطعنا المسافة دون أن نشعر ببعدها . وكان

ووصولنا لقلمة الكبريت الساعة السادسة بالتوقيت الغروبى وطلب منى رفيقى أن اذهب معه لمقر اقامة أهله ولكنى رغبت البقاء على قلمة الكبريت عسى أن أجد سيارة فالصباح الباكر لقرية فلم يمانع فى ذلك بل أبدى استحسانه لهذه الفكرة وقال على أى حال سأتى إليك غدا فان كنت قد وجدت سيارة وإلا أوصلتك بسيارتى وانطلق فى سبيله وبقيت أنا حيث ما كنت . وفي صبيحة اليوم التالى بحثت عن سيارة فلم أجد وحضر صاحبى عصرا فقال ألم تجد سيارة حتى الآن فقلت نعم . وكنت أظن انه سينقلنى فورا لقرية حسب اتفاقنا من ناحية وما تمليه الصداقة والقرابة من ناحية أخرى ولكنه قال عسى أن تجد سيارة فى بقية هذا اليوم فشعرت أنه لا يرغب فى إيصالى لقرية هذا اليوم لظروف حاجة أهله للماء فسكت واستمريت فى مكانى على قلمة الكبريت مدة أربعة أيام بلياليها لم يمض يوم منها ما شاهدت صاحبى فيه وهو يكرر نفس السؤال ويأخذ منى نفس الجواب ويرد على نفس العبارة السابقة إياها فشعرت بالندم على مرافقتى . وضاقت على الأرض بما رحبت وفكرت بالذهاب راجلا حتى لا اره مرة أخرى ، وقررت ذلك فى مساء الغد إذا لم أجد سيارة . ولكنى فى مساء اليوم الخامس وفقت بسيارة ذاهبة لموضع السعيرة فدفعت بنفسى إليها رغم علمى أنها لا تخدمنى فى مشوارى بشىء ولكن لا بتعد عن روٌية الأرض التى يحل بها

صاحبي وعبرت السيارة بنا ووصلنا لموضع السعيرة ليلا وهى موضع ماء ترتاده البادية يقع فى أطراف الدبدبة فبت بها تلك الليلة وفى الصباح بحثت عن سيارة توصلنى لموقع مركز الصقعبي وهو نقطة تفتيش على الطريق الموصل للكويت من المملكة ولم أجد فذهبت راجلا ووصلت للصقعبى الساعة الرابعة صباحا بالتوقيت الغروبى وسألت أحد الجنود بالمركز كيف أحصل على سيارة توصلنى لقرية فقال أن السيارات لو وصلت لنا الآن فانه لا يسمح لها بالذهاب لقرية إلا صبيحة الغد حيث النظام يملى ذلك وهو صادق فى كلامه وأنا أعرف هذا سابقا . فقلت لو ذهبت راجلا متى أصل لقرية فقال : ان كنت سريعا ستصل إليها وقت الغروب فاستعنت بالله ومضيت فى طريقى لقرية راجلا رغم أنى فى فصل الصيف والشمس محرقة والهواء حار جدا ولا معى ماء ولا طعام وواصلت سيرى حتى كانت الساعة التاسعة والنصف بالتوقيت الغروبى وهنا أحسست بالعطش الزايد ، وايقنت بالهلاك وصرت أرسل نظراتى هنا وهناك عسى أن أرى إنسان فى هذه الأرض ولكن دون جدوى ولم أزل فى مواصلة سيرى وأنا منهك القوى يابس الشفايف خالى البطن فجلست عسى أن اكتسب شيء من الراحة الجسدية ولكن الظمأ يشدد قبضته على حتى أنى يئست من الحياة فتناولت قلمى وورقة فى جيبى ودونت فيها اسمى ولقبى وأسباب وفاتى حيث فقدت كل

أمل فى الحياة فى تلك اللحظة . وهنا غبت عن نفسى ولم أشعر ماذا فعلت بعد ذلك إلا أننى شعرت بوقع حركات راحلة تمر بالقرب منى فنهضت وشاهدت الراحلة وإذا بها قد تجاوزتنى ولا استطيع اللحاق بها لانى منهك القوى ولكنى حاضر الشعور . فنظرت للساعة وإذا بها الثامنة ليلا بالتوقيت الغروبى بمعنى اننى نمت أكثر من عشر ساعات فقلت بنفسى سأقتفى أثر هذه الراحلة على ضوء القمر عسى أن أصل للمنهل الذى صدرت منه فنهضت من مكانى وواصلت سيرى وكادت أن تنفجر اذنى من وقع اقدامى بالارض .. وكان لسانى يابس كالصخر واستمريت فى سيرى حتى العاشرة تماما فأردت أن أجلس للراحة عسى أن تعود إلى قواى أكثر من ذلك فأخذنى النوم مرة أخرى ولم أشعر إلا بطفل لا يتجاوز الثانية عشر من عمره فى نظرى يشدنى من شعر رأسى ويوقظنى فقلت له اعطنى ماء ولم يفهم منى وكررت الطلب لعدة مرات ولم يفهم فأشرت بيدى على فمى بأن اسقنى ماء فانطلق يعدو ونهضت جالسا وإذا بغنم الصبى تحيط بى من كل جانب ومعها حمارا فوقه وعاء من الماء فسكب من الوعاء الماء فى قدر كان معه حتى ملاه ماء وأقبل الى ومعه شىء من التمر فى يده اطعمنى إياه بقوة منه وضعف منى وكان يمدنى بالماء قليلا قليلا حتى انهيت التمر الذى معه فى يده فترك وعاء الماء فى يدى حيث قضيت عليه تماما

وطلبت المزيد وفعل . فصحوت تماما وسألنى من أين أتيت فأخبرته ، وقلت لماذا كنت أطلب منك الماء ولم تفهم منى إلا بعد اشارتى بيدى فقال انك تتكلم بشفايفك فقط ولايخرج لك أى صوت ففهمت أن صاحب الراحلة ليلا لم يسمعنى هو الآخر لانه لا صوت لى مثلما حصل مع هذا الصبى . وسألت عن اسمه فلم يخبرنى وعن قبيلته فقال انه من مطير فدفعت له شيء من المال فرفضه فبحثت عن قلمى وورقتى التى دونت فيها فلم أجدها إذ اننى لم ادخلهما فى جيبى وواصلت سيرى لبلدة قرية التى لاتبعد عنى الآن سوى ثمانية كيلو مترات تقريبا حسبما قال لى الصبى . فوصلت إليها الساعة الواحدة والنصف بالتوقيت الغروبى وصلحت أمورى وبقيت حيا أرزق والحمد لله ولم ازل أذكر لهذا الصبى جميله فى انقاذ حياتى . بعد أن كدت افقدها بسبب قريبى وصديقى ووعده الذى لم يف له فجزا الله الشدائد كل خير . عرفت بها عدوى من صديقى .

من قصص حجرف الذويبي

كثيرون هم الذين يتصفون بالشجاعة والكرم ولكنهم يختلفون من واحد لآخر من حيث استمرارية البذل ونوعيته وصاحبنا فى هذه القصة حجرف الذويبى من شيوخ ذوى عمرو من قبيلة حرب من أبرز سماته عنصر الكرم إذ غالبا ما يكون معدم الماشية خالى اليدين بسبب كرمه الذى يفوق كل التصورات حيث لا يحل عليه أى ضيف كائن من كان إلا وينحر له نعجة وان لم يجد تطاول على الإبل ونحر منها لضيفه وهو من الرجال المحبوبين لدى أفراد قبيلته بل والقبائل الأخرى حتى أن جماعته حاولوا بشتى السبل معه أن يقلل من كرمه حتى لا يذهب كل ما يملك من ماشية طعاما للضيوف ولكن دون جدوى لكونه انطبع بطابع الكرم ولم يحد عنه قيد انمله رغم أن كرمه يتجاوز حدود المعقول واللامعقول مما حدا بمحبيه من أفراد عشيرته أن يتفقوا فيما بينهم على الرحيل عنه فى حالة خلو يده من الماشية بقصد تأديبه على أن يعودوا إليه فيما بعد عله يستشعر بالوحدة والعزلة المضروبة عليه من أقرب أقربائه ويرضخ للأمر الواقع فى حالة عدم وجود ما يقدمه لضيوفه وفى أحد الأيام بعد أن حسوا بخلو يده

رحلوا وتركوه وحيدا ومضوا فى طريقهم على مرأى منه وبعد مرور ثلاثة أيام على رحيلهم عنه عاد إليه أربعة منهم وأناخوا ركابهم بعيدا عن منزله فى مكان خفى عليه بقصد احراجه لعدم وجود ما ينحره لهم لديه وبالتالى يحس بفراغ اليد ويكون على هبة الأستعداد بالرحيل معهم واللحاق بجماعته وبالتالى الاقتصاد فى كرمه إذا هم وفروا له الماشية كما جرت العادة كلما فرغت يداه وعندما أتو لبيته المصنوع من شعر الماشية ورحب بهم وأوقد النار واصلح لهم القهوة . نهض منهم وقال سأتى لكم بحطب واقتفى أثرهم حتى وصل لموضع ركابهم ونحرها جميعا وتناول ما استطاع حمله من لحمها وقدمه لربة البيت لاصلاحه عشاء لهم وهم لا يعملون ماذا حل بركابهم وعندما نضج العشاء وقدمه لهم واذا بلحم الركاب بين ايديهم فقالوا عملتها ياحجرف فقال نعم انتم ضيوف وأنا لا أقدم لضيوفى إلا لحما طريا فسكت الجميع وفى الصباح أرسلوا أحدهم لذويهم وأتى بعدد من الجمال لحمل حجرف وبيته وأهله والحاقه بجماعته وفعلا تم ذلك ووفروا له ما يحتاج إليه من ماشية وما هى إلا برهة قصيرة من الزمن تمر على توفر الماشية لدى حجرف حتى نفذت وأصبح صفر اليدين كجارى عادته فقرر جماعته مرة أخرى أن يرحلوا عنه ويتركوه لوحده عسى أن يعود عن تبذيره وكرمه الغير معقول فى نظرهم ونفذوا ذلك ورحلوا وتركو حجرفا فى

أرض قاحلة لا ماء ولا طعام ولا عرب وهم لا يقصدون الاساءة إليه بل أن فى نيتهم العودة له بعد مرور أيام من رحيلهم عنه كما فعلوا بالمرة الأولى وبقى حجرف يتجرع ويلات الفراق ووحشة الوحدة وضاقت به الأرض بما رحبت وخرج من بيته واعتلى احدى التلال المحيطة به عسى أن يراهم قد عادوا إليه وفيما هو كذلك وإذا بنظرة يقع على هامة سوداء كفيفة البصر تخرج رأسها من جحرها وربما لسماع حركات خشاش الأرض لتقتات منه وفيما هو ينظر إليها وإذا بعصفور طاير يأتى ويقع على رأسها وتلتهمه وتكتف برهة من الوقت ثم تعود وتخرج رأسها ويأتى عصفور آخر ويقع على رأسها وتلتهمه وتكتف برهة ثم تخرج رأسها ويأتى العصفور الثالث وبنفس الطريقة ولكنها هذه المرة اكتفت ولم تخرج رغم انتظار حجرف الطويل لخروجها فقام حجرف من مجلسه وقال الذى رزق هذا الداب الأعمى لن يتركنى اعيش فى هذه العزلة عن جماعتى والناس أجمعين . ونظم قصيدة بهذه المناسبة نوردها فى نهاية القصة واتجه لبيته وقد حل وقت الظلام وأوقد النار لاصلاح القهوة لنفسه وإذا ببيته يكاد أن يسقط عليه أثر حركة غريبة حات به فنهض من مجلسه وأطل بنفسه ليرى ماذا حل بالبيت وإذا بمجموعة من الإبل تحتك بأطناب البيت فنظر لوسمها (علامتها المميزة) وإذا بها تعود لقبيلة معادية يحق له أن

يتمتع خلالها حسب الاعراف القبلية فى تلك الفترة فحمد الله
على ما وفره له من مال ورحل فى صبيحة اليوم التالى ولحق
بجماعته ومما ينسب لحجرف من القصص الطريفة حيث يقال
أنه له أبنا أحب إحدى بنات حواء وكان والد هذه الفتاة من
الذين يتصفون بالبخل فنصح حجرف ابنه عن التعلق بابنة
هذا الرجل خشية أن تنجب له حفيدا بخيلا ولكن الابن لم يسمع
نصيحة والده وأصر على خطبتها والزواج منها فرضخ
حجرف أمام غرام ابنه بهذه الفتاة واتجه وابنه لوالدها لاتمام
الخطوبة ووصلا إليه وفاتحاه بالموضوع وأبدى موافقة على
الزواج فاتجه الثلاثة لاحد مأذونى الانكحة لغرض عقد
قرانهما وفى طريقهم إلى المأذون . توقفوا لاصلاح
ما يحتاجون إليه من طعام وعندما نضج غداهم وفد عليهم
أحد عابرى السبيل وعندما وضع الأكل أمامهم قام نسيبهم
المنتظر بغرف جزء يسير من الطعام وقدمه لعابر السبيل لانه
خشى أن لا يكفى لهم جميعا فتدخل حجرف وأعاد الطعام
إلى الوعاء وقال تفضل يا اخينا هذا هو الغذاء المبارك الذى
حضرته فأجتمع الجميع على وعاء الطعام فأكلوا حتى شبع
كل منهم وبقى بالوعاء من الطعام ما يكفى غيرهم لو حضر
ورموا به بالأرض لانه فوق حاجتهم فأجتمع على فضله
الطعام المرمية بالأرض أعداد هائلة من الذر وخشاش الأرض
على مرأى من الجميع فقال عابر السبيل الآبيات التالية :

بخل ردى الخال في ربع قوتنا
وحنا طوايا والكبود اعطاش

وقام الكريم وجاد من ما جوده
واكرم غريب الدار مما حاش

حتى شبعنا واشبع الذر سورنا
وللذر من زاد الكرام معـاش

فمن لا يعرب منسبه قبل منشبه
وإلا تري ولده يروح بلاش

فلما سمعوا من عابر السبيل هذه الابيات قال حجرف لابنه ما رأيك فيما قال ضيفنا فقال الابن لقد صدق فيما قال وأنا الآن اتنازل من رغبتي وحبي لابنة هذا الرجل وافترق الجميع كل فى سبيله وهناك قصص من نوع الاساطير تنسب لحجرف الذويبي ربما أوردناها مستقبلا عندما نشرع بكتابة الاساطير . أما الأبيات التى نظمها وأشرنا إليها أعلاه فهى :

يقول ابن عياد وان بات ليلة

يرزقنى اللى ما تعدد فضايله

أَنا اليا ضاقت عليه تفرجت

ما نيب مسكينن اهمومه اتشايله

يرزقنى رزاق الهوايش بجحرها

لا خايلت برقن ولا هيب حايله

وتري رزق غيري ياملا ماينولنى

ورزقى يجى لو كل حى يحايله

جميع ما حشنا ندور به الثناء

وما راح منا عاضنا الله بدايله

نوب نحوش القود من ديره العدا

ونعدل اللى ذاهباتن عدايله

نعطى بالايدي ما دفعنا بها الثمن

ثمنها الدمى بمطارد الخيل سايله

مع لابة فرسان نلهد بها العدا

وكم طامعن جانا غنمنا زمايله

نكسب بهم عزن وننزل بهم خطر

وما هيب من قفرن رعينا مسايله

باع سلاحة اكراما لضيوفة

حدثنى طلق بن صويلح الهذلى شاعر الرد المعروف وخوى صاحب السمو الأمير سطام بن عبد العزيز قال أتيت وعبادل المالكى لوالدك زبن بن عمير يرحمه الله وكان يقيم فى بيت من الشعر شرق شارع البطحاء الآن وكان والدك لا يجد من حطام الدنيا شيئا وكنا كذلك وعندما دخلنا لمجلسه داخل بيت الشعر وأوقد النار لنا لاصلاح القهوة التى كان يستعملها بكثرة وإذا به يتجند فى تلك اللحظة بمسدس أبو محاله ونهض منا وكنا نظن انه سيأتى بشىء من الحطب لغرض مواصلة اشعال النار حيث قد حل الليل وعم الظلام الكون ولم يكن هناك أى إضاءة سوى النار التى تبقى مشتعلة حتى يتفرق القوم . وعندما عاد لنا وإذا بمسدسه غير موجود معه وظننا انه انزله عند أهل بيته ولكن هذا لم يحدث إذ أنه قد باع المسدس على أحدهم بخروف نحره قبل أن يصل لنا وسلمه لاهل بيته لاكمال سلخه ومن ثم طبخه عشاء لنا وكان يهدف من وراء ذلك التصرف القضاء على عدم موافقتنا على تناول العشاء عنده وفعلا تحقق ذلك فعندما هممنا بموادعته ابلغنا بأن العشاء على وشك أن يستوى وظننا أن عشاءنا من

عشاه العادى لانه لم يغب عنا طويلا والححنا بالذهاب
ووداعه . قال أن العشاء مجهز لكم ولا يمكن ذهابكم إلا بعد
تناوله وهنا فهمنا ما حدث دونما الاشارة إليه . وقدم لنا
العشاء وتناولناه والالم يحز فى نفوسنا لما حدث لاننا نعلم
أحواله المادية وأنه لا يملك من حطام الدنيا فى ذلك الوقت أى
شيء عدا مسدسه الذى فرط به اكراما لنا ويواصل طلق
حديثه ويقول فى صبيحة اليوم التالى انضم زبن لمعية الأمير
المرحوم فيصل بن تركى بن عبد العزيز وفى المساء اقيمت
محاورة شعرية بيننا وبينه دار موضوعها حول العشاء والمسدس
وقد تحسنت أحوال زبن المادية وانتقل من بيت الشعر لبيت
من الطين وكان ذلك الوقت كالفله فى يومنا هذا. اوردت
هذه القصة لا لأنها تخص والدى وتبين عنصر الكرم عنده
ولكن ليتعظ من يعيش فى بحبوحة من العيش الآن ولم يفكر
فيمن هم أقل منه وليفهم ما كان اباؤه وأجداده عليه من
العوز والفاقة وليتعظ من يتعظ .

حب نهايته الموت

هذه القصة وقعت أحداثها فى بلدة ثرمداء من بلدان الوشم وبطلها هو العنقرى واشك فى اسمه الصحيح الآن وعلى أى حال فالعناقر من بنى تميم وهو من رؤوس قومه ولا زالت امارة ثرمداء فى العناقرة حتى يومنا هذا والعنقرى هام بحب لم يكتب له النجاح لاسباب خاصة قد يكون منها البعد والقرابة أو العادات الموروثة من القديم وهى أن المحب لا يمكن أن يحظى بمحبوبته زوجه شرعية له لان ذلك يعتبر منقصه وعارا أن يكون هذا الزواج امتدادا لحب اشتهر بالمجتمع .

بدأت آثار الغرام تظهر واضحة جلية على بطل هذه القصة فى شكله وتصرفاته حتى انه تنكر للقريب قبل البعيد وأصبح لا يطيق رؤية الناس اللهم إلا صاحبه (على) الذى كان يلازمه لحظات وجوده فى البلد لما كان يربط بينهما من المحبة والالفة وأخيرا لازم الفراش وبدأ الموت يدب فى بدنه الهزيل الشحب ومحبوبته تعانى من آلام الحب وتباريح الجوى ما تعانيه .

وفي احدى رحلات صديقه (على) سأله عن حاله وكان يجاذب انفاسه بصعوبة بالغة قائلا أراك اليوم تبدو بخير مما كنت عليه بالامس فنظر إليه بعينيه الغائرتين كيف ذلك وأنت ترى نفسي بهذا الشكل فقال أن هذا وثاب سيزول بمجرد ما تتناول قليلا من الماء . فقال شعرا :

يا على هذا الموت ما هوب وثاب
ميرالله لله بالكفن والرهابه
واليا حملتونى على اللوح والباب
توقفوا بى ساعة عند بابه
يبى يطل الترف وضاح الانياب
وقولوا توفى العنقري واسفا به

ولفظ أنفاسه مع آخر كلمة ونفذت الوصية حيث اقبلوا بجثمانه على النعش حتى قربوا عند منزل أهل محبوبته واحدثوا ضجيجا فصعدت محبوبته لاعلى المنزل (السطح) ونظرت نحو الضجيج فشاهدت جثمانه محمولا على النعش فرمت بنفسها ولحقت به مبرهنة على حقيقة حبها وصدقه .

هذه القصة اخذتها عن الاخ الشاعر
عبد الله عبد الرحمن السلوم

من قصص البادية

بعث لنا الأخ خالد بن ماجد من ينبع البحر بالقصة التالية التي يقول فيها أقامت قبيلة الروسان من عتيبة على منهل شرمة وكان أميرهم فى ذلك الوقت الشيخ حسين بن جامع وقد جاورهم على ذلك المنهل الشيخ قاسى بن عضيب القحطانى ومن ضمن جماعته الذين معه محسن بن فتنان وكان السلب والنهب قائما بين القبائل فى ذلك الحين فاغير على الجميع وحصلت معركة كان من نتائجها كسر ساق قاسى بن عضيب فبقى لدى الروسان كسير الساق مدة تسعين يوما والروسان يعالجونه ويحتفون به إذ ينحرون له كل ليلة خروفا وينقلونه من مكان لآخر بين أيديهم لحضور وليمته المعدة له وحتى لا يتضايق من العزلة التى عادة تفرض على الكسير وعندما شفى بن عضيب وأراد ان يذهب لقومه جمعوا له الروسان إبلا عن الإبل التى افتقدها أثناء المعركة ورحل ابن عضيب تاركا هذه الأبيات :

والله لولا الربـــع والربـــع نيـــه

ما ينزعـــج مظهورنا حادرينى

والله يا فرقا حسين عليـــــه
إلا أنها ظالمــا من الظالمينى

ودي بهم لو كان قــوم لظيــه
أحبهــم حيث أنهــم طيببينى

ودارت الأيام دورتها وأغار قوم من قحطان على قبيلة الروسان فأخذو منهم إبلا فلما علم الشيخ قاسي بن عضيب بالحادثة سعى فى رد الإبل للروسان من أيدى جماعته القحاطين وفعلا تم استرجاعها وتسليمها للروسان بواسطة ابن عضيب وبقى لدى قحطان ناقة واحدة لشخص يدعى العوهلى من الروسان لم يهتد ابن عضيب إليها فى حينه غير أنه اهتدى إليها فيما بعد وبعث بها لصاحبها العوهلى ومعها هذه الأبيات :

ابشر بها يالعوهلى جات مـداه
غفل ولا جرت عليهـا الوسومى

لا تحسبن مقطان شرمه نسيناه
وإلا نسينا طيبات العلومى

تسعين ليل كل ليل على شاه
والساق ما بين العـواد محزومى

انتم أَهـل المعروف والطيب نجزاه
نجزا العلوم الطيبة بالسلومى

تستاهلون المـدح يـوم المثراه
وأَخص أَخو نوره قوي العزومى

يوم الملاقا واضح ضرب شلفاه
على العدو وإلا الرفيق محشومى

حسين بن جامع تري العلم ينصاه
شيخ شجاع ومن رجال قرومى

وربعه هل البلها صناديد ودهاه
ان جاء نهار فيه حظ يقومى

قصيرهم في عالى العز تلقاه

مصيون عن لفح الهوي والسمومى

والجود منهم لو جزيناه بثناه

وحنا وفينا باتباع الرسومى

الحب الذي تحقق بعد عذاب

عايد بن جريد من شيوخ الشرارات وقع أسير حب ابنة سعود بن جليدان من الشرارات أيضا وبادلته الحب هى الأخرى وتعاهدا على الزواج من بعضهما وتقدم عايد لاثبات صدق نيته وطهر حبه لسعود بن جليدان طالبا مصاهرته ولكن سعودا يرفض خطوبته تلك ويمضى عام على ذلك ويعاودعايد بن جريد الكرة ويعاود سعود الرفض أيضا ، ويحترق الحبيبان ويدب بهما اليأس بعدم اللقاء المنتظر . ولكن لثقة عايد فى نفسه ومكانته بين قومه يعاود طلب محبوبته للمرة الثالثة ويرفض سعود ذلك بقوله يا عايد لو لم يبق من رجال قبيلة الشرارات أى فرد إلا أنت فلن أزوجك إياها ويقول عايد هل ترى أننى غير كفء لمصاهرتك ؟ ويقول سعود أنت نعم الرجل ومن يعرفك أو يسمع بك يعرف هذا ولكن لن أزوجك ما دام أنك تعشقها وهى تعشقك . ويقول عايد مما يصلح بيت زوجيتنا ويكفل استمرارنا ويقول سعود أريد أن لا يصلح ما دام أنه سيقوم على العشق ويعود عايد بخفى حنين ويمضى وقت قارب الثلاث سنوات ويفرض

حب ابنة سعود على عايد تجديد الخطوبة للمرة الرابعة ولكن هذه المرة يأخذ عايد معه وجهاء قبيلته الشرارات عسى أن يخجل منهم أو يقدرهم ويرضى بمصاهرة عايد له .

ويصل الجميع لسعود بن جليدان ويلتمسون قبوله بتزويج ابنته لعايد ولكن سعودا لم يزل مصرا على رأيه غير مبال بالوجاهة التى تعشم عايد أن تتحقق له ما يصبوا إليه ويعود عايد ورفاقه بنتيجة غير متوقعة وهى الرفض من قبل سعود ويقاسى عايد ويلات الحب وعذابه وتمر سنتان على ذلك وعايد يعيش بدوامة وعزلة عن الناس ويرفض الزواج من كل النساء اللاتى يتمنين قربه ولا يمانعن فى قبوله إذا ما تقدم بطلب احداهن وأخيرا يشد عايد الرحال قاصدا سعود بن جليدان للمرة الخامسة ولكن هذه المرة وحده ويحث هجينه بالسير والسراء ويصل لبيت سعود فى وقت ما بعد العصر وإذا بالولائم تطبخ على النار والمجلس يغص بالرجال وينذهل عايد من رؤية هذه الوليمة الكبيرة ويفحص وجوه القوم بنظراته المتتابعة المتهالكة فى نفس الوقت ليرى من الضيف الكبير المقام الذى أعدت هذه الوليمة له ولم ير بالجالسين غريبا لانه يعرفهم بصفته أحد شيوخ العشيرة ويغرق بالتفكير ياترى لمن هذه الوليمة .. ؟

ويستعيد أنفاسه بعد عناء طويل ويقول من تمام هذه الوليمة له . ؟ ويرد عليه الحاضرون أنها ليست لضيوف كما توقعت أنها وليمة زواج فاضل بن عشيشان على بنت سعود بن جليدان وفاضل هذا من رجال القبيلة البارزين الذين يحظون بتقدير رجال القبيلة وقد كان بسفر طيلة هذه السنين التى وقع عايد فيها أسيرا لحب ابنة سعود ولم يعلم هو بحب عايد وأمله المنتظر . ويقول عايد الحمد لله أنها مهرة وجدت ركابها وكان فاضل يجلس مع هؤلاء ويستمع لكلام عايد فأحس بأن فى الأمر شيئا وقال ياعايد عسى مابنت سعود رغبة لك وأنا أخذتها ويقول عايد كانت أما اليوم فلن أندم مادام أنها بحوزتك لانك تستاهل بنت سعود والله يهنيك بها . وينهض فاضل واقفا ويقول اشهدوا أيها الحضور أن بنت سعود مطلقة من الآن قبل أن أدخل بها لأن عايدا أولى منى وهنا يندهل القوم لهذا الحدث غير المتوقع ويعترى الجلوس فترة من الصمت وينهض سعود ابن جليدان ويقول الآن أعطيتك ياعايد ابنتى على سنة الله ورسوله ما دام فاضل وهبك إياها ويرد عايد بالقبول ويجهز عليها فيما بعد ويتم لقاء الحبيبين ببعضهما بعد أن قاسا ماقاساه فى سبيل حبهما وقد أصبحت أما لاولاد عايد بن جريد وأولادها الآن من شبابنا

الجامعي وهم الذين رووا لي هذه القصة عن طيب خاطر كما أن عماش بن جريد شقيق عايد أكد لي القصة وحدثني بها في آخر زيارتي للجوف .

الامانة المجهوله

محمد بن رباح البراق من قبيلة عتيبة من ذوى ثبيت جماعة الشيخ عمر بن ربيعان يرحمه الله كان يسكن مكة المكرمة فى محلة ريع ذاخر بالمعابدة ويمتهن البيع والشراء فى الأغنام ولم تكن حركته مقتصرة داخل أسواق مكة إذ كان يشد الرحال أيام فصل الشتاء إلى قلب نجد ويشترى أعدادا كبيرة من الأغنام ويعود بها لمكة لتصريفها فى أيام موسم الحج بجدة والطائف ومكة وهكذا دواليك الصيف فى مكة والشتاء فى البرارى والقفار لتزويد مكة وماجاورها مما تحتاجه من الأغنام فى موسمها العام وفى احدى رحلاته لنجد اشترى نعجة من رجل من قبيلة العصمة من عتيبة أيضا فاتنى اسمه غير اننى ساسميه بوافى العصيمى لما لهذا الاسم من معنى سام ينطبق على هذا الرجل الفذ والفريد من نوعه فى نظرى قلت انه اشترى منه نعجة فى وقت ما بعد الظهر وكانت هذه النعجة مضرع ، مقرب أى قريبة الولادة وعندما اشتراها محمد البراق أودعها أمانة عند وافى حتى يعود من رحلاته ويأخذها فى طريقه وذهب محمد إلى حيث يريد أن يشترى من الأغنام من هنا وهناك حتى تكون لديه مجموعة كبيرة قيل أنها أربعة آلاف رأس من

الغنم وعاد بعد ذلك لمكة عابراً طريقا غير الطريق الذى أتى منه ولم يمر على وافى العصيمى الذى اشترى منه النعجة وأودعها إياه فى حينه وهنا تجدر الاشارة إلى أن الاثنين لا يعرفان بعضهما ومرت الأيام ، بل الشهور والسنون فقد حدثنى والدى وصلال بن غريب وهو ابن شقيق محمد البراق بأن محمد بن غريب البراق هذا جلس فى مكة بعد تلك الرحلة لظروف خاصة به مدة عشر سنوات لم يخرج من مكة كجارى العادة فى كل عـــام وفى يـــوم من الأيـــام وبعد أن ضاق ما باليد أراد محمد أن يعاود مهنته واتجه لاحد التجار الذين يثقون به واستلف منه مبلغا من المال كقرضه حسنة وهنا شد محمد على راحلته متجها لنجد لشراء بعض الاغنام والعودة بها لمكة كجارى العادة سابقا وفى أثناء طريقه ورد على منهل ماء البديعة المعروف من موارد المقطة وإذا بأعداد كبيرة من الخراف ليس بها ضان قيل أن عددها ستمائة رأس تشرب من هذا المنبع ففرح محمد فرحا شديدا لانه وجد ضالته دفعة واحدة وسيعود لمكة عما قريب إذ هو اشترى هذه المجموعة من الخراف . واتجه نحو الرجال الثلاثة الذين يسقون هذه الخراف ، قال لهم هل تبيعون الأغنام ورد عليه الجميع بأنها ليست للبيع وقال لمن تكون من المؤلفين ظانا أنها لامثاله فقال الرجال الثلاثة نحن لا نعلم عنها أى شىء اللهم إلا أننا مؤجرين على سقياها وحفظها حتى نوصلها لمكة ونسلمها

لمحمد البراق فقال محمد ومن بعث بها قالوا رجل من العصمة يقال له وافى فقال محمد منهو محمد البراق واوضحوا له أنه محمد بن رباح بن غريب البراق من أهل المعايدة بمكة ومن الرجال الذين يتعاطون البيع والشراء بالأغنام فعرف انه المقصود بهذا الخراف ولكن كيف تكون له هذه الخراف وهو لا يعلم عنها أى شيء فقال اهدونى إلى الرجل الذى بعثكم بها فقالوا أنه صاحب البيت المقابل وحث محمد هجينه حتى وصل لبيت وافى العصيمى وقال أنا محمد البراق وقال وافى بعد أن انتهت مراسم الاستقبال المعتادة لماذا تأخرت كل هذه المدة وقال محمد عنماذا تأخرت من باب الاطمئنان قال عن وديعتك التى أودعتنى إياها ومضى عليها الآن عشر من السنين فقال محمد ما هى هذه الوداعة قال وافى أنها نعجة مضرع مقرب وقد ولدت برخلين (اثنين) وجعل الله البركة فيما بعد ذلك إذ لا تضع أى نعجة لك إلا اثنين أو اثنتين حتى صعب على حصرها فقد نحرت منها لخاصتى ولضيوفى وابتعت منها ما يلزمنى لمؤونة بيتى وهذه الخراف التى تراها تسقى على المنهل هى من ابنائها أما ما يخصك من النعاج فانه يفوق بالعدد تلك الخراف . فقال محمد يعلم الله انني حتى الآن لا أعلم عن هذه النعجة أى شيء إذ قد نسيتها ولكن ما دام أنك مصر على أنها لى فأنا وأنت شركاء فيها واقتسم أنا وإياك الجميع فقال وافى أن الذى تصرفت به من أغنامك

يفوق كل تصوراتك وهو اجار لنفسى مقابل اتعابى وحفظى لها وكل ما أريده منك الاباحة والمسامحة بالدنيا والآخره ويصر محمد على مشاركته له لكن الرجل الوقور الامين يرفض كل الاصرارات والتوسلات من محمد ويدفع بجميع مالديه من الأغنام لمحمد وهكذا تنجلى النفس المؤمنة بربها والمقتنعة بما رزقها الله حلالا طيبا .

الشاعر والامير وسر المهنه

قيل أن هناك شاعرا عربيا يمتاز شعره بالجودة والوضوح وفد على أحد الأمراء بعد أن صاغ فيه قصيدة عصماء أشاد فيها بمكارمه وبطولته وعراقة نسبه وحسبه وما أن استمع الأمير لهذه القصيدة حتى أمر للشاعر بمكافأة سخية غير أن الشاعر رفض تلك المكافأة قائلا يا سيدى اننى لا أرغب فى مكافأة من هذا النوع .

فقال الأمير ماذا تريد أن تكون مكافأتك .. ؟

قال أريد أن احصل من الأمير على أمر يعطينى الحق بأن آخذ من كل رجل يخاف من زوجته نعجة من الضان فضحك الأمير وقال كيف تستطيع التعرف على هؤلاء إذا نحن اعطيناك مثل هذا الأمر .

قال أن ذلك من سر المهنة ولكنى سأطلعكم عليه فيما بعد .

فقال الأمير لا بأس هذا هو الأمر .

فانطلق الشاعر فى سبيله وبعد مرور أربعة أشهر عاد للامير ومعه من الغنم ما يقارب ثلاثة آلاف رأس .

فقال الأمير ياللعجب كل هذه الأغنام من الرجال الذين يخافون زوجاتهم .

فقال الشاعر : نعم يا أيها الأمير .

فقال الأمير : الآن تخبرنى كيف استطعت معرفة هؤلاء .

فقال انى سأخبرك لا محالة ولكن قبل أن أخبرك أريد أن أصف لك فتاة رأيتها تليق بمقامك .

قال افعل .

فقال الشاعر بصوت مرتفع انها طويلة القامة بيضاء اللون مدملجة الساقين ملهوفة الحشاء واسعة العينين .
فقال الأمير اخفض صوتك أيها الشاعر فان زوجتى خلف الستارة .

فقال الشاعر أيها الأمير لقد حلت عليك النعجة وهذه الطريقة التى استخدمها لمعرفة أمثالك .

وجاء البديل

فى العام الذى يعرف عند أهالى نجد بعام سحبه وهو فى الستينات الهجرية مر بأهل نجد كافة مجاعة لا مثيل لها وخاصة البادية حيث توالت الدهور وهلكت الماشية وظهر الجميع صفر اليدين من مواشيهم وكنا من ضمن هؤلاء ورحلنا وابن عم لنا له سبعة أولاد وزوجته ونحن كذلك نفس العدد وكنا نشد على ثلاث من الركاب اثنتان منها فى حالة هزيلة جدا إذ أننا لانشد عليهما إلا وهما واقفتان أما الثالثة فكانت بحالة جيدة وأغلب العفش والأولاد الصغار عليها ومضينا من مدينة شقراء حتى وصلنا قريب بلدة ملهم من قرى المحمل بعد عدة أيام من رحيلنا وحللنا فيما بعد العصر كالعادة فى يوم رحيلنا إذ نرحل يوما ونقيم يوما لرداء رواحلنا ، قلت حللنا فيما بعد العصر ، ودنا الليل وأرخى سدوله وأتى والدى يرحمه الله لوالدتى الموجودة الآن والحمد لله ليرى ماذا تم بالعشاء قبل أن ينام الأولاد الصغار فاذا بها جالسة مع رفيقتها يتجاذبن أطراف الحديث الذى يدور بعيدا عن الأكل طبعا فقال يا فلانه يقصد والدتى اين العشاء فقالت يجيب الله خير الليلة ما عندنا شيء فقط قليل من التمر نريده لالهاء الصغار

يوم غد حيث نفذ كل ماعندنا ليلة البارحة . فقفل رحمه الله راجعا واتجه لاقوى الركاب الثلاث فنحرها وعلى صوت نحرها علت أصوات النساء والاولاد بكاء ونحيبا خشية ضياعهم فى هذه الفلاه لأن الناقة المنحورة هى التى نعتمد عليها بعد الله بنقل العفش وجلب الماء لهذه الانفس العشرين إلا قليلا ولكن والدى لم يبال بتلك الضجة حيث استمر فى انجاز ذبيحته حتى انتهى منها وقطعها أوصالا لوحده وقدم لوالدتى ما رغب طبخه عاجلا من أجل أن لا ينام الصغار وبطونهم خاوية ونقل بعضا منها على أحد الركاب الهزيلة واتجه به لبلدة ملهم وباعه واشترى بثمنه شيئا من الحريش وعاد من ليلته وفى الصباح بقينا فى موقعنا لان ركابنا لاتستطيع نقلنا وفى اليوم التالى اتجه والدى نحو أحد الأودية المحيطة بنا يضربها أخماسا وأسداسا عسى أن يجد مخرجا يوصل هذه الأنفس لبلد يتوفر به الماء والطعام وفيما هو كذلك إذ بنظره يقع على ناقة ساقطة بالوادى ومحجوزة بحبال مسامتها (شدها) وربما هناك حمل سقط عنها ولم نجده مما جعل الحبال تتدلى وبالتالى تحجز الناقة أثر هجيجها وسقوطها بهذا الوادى فدنا منها وفك تلك الحبال ونظر بحالها واذابها سليمة ويمكن الاعتماد عليها بعد الله ونظر لوسمها (علاماتها المميزة) وإذا بها تعود لعبد الله أبو بطين من أهالى شقراء وأحد أصدقاء والدى فاستاقها وأتى بها إلينا وشدينا عليها جميع ما كانت

تنقله راحلتنا السابقة التى أصبحت طعاما مستساغا لنا وواصلنا السير حتى وصلنا لمدينة الرياض بعد يومين من رحيلنا ولجأنا لقصر جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه الذى وسع بدوره علينا كعادة جلالته برعاية أبناء شعبه وبعد ذلك سلمنا الناقة لعبد الله أبو بطين وأخبرناه بما حدث وتقبل ذلك بصدر رحب واستحسن التصرف فجزاه الله عنا خيرا والحمد لله الذى بدل العسر باللين ورحم المسلمين .

الذئب صار نعجة

حدثني والدي يرحمه الله قال :

كنت خارجا من هجرة مبايض أحد هجر قبيلة مطير بحث عن (زوامل) افتقدتها وكان وقتي فيما بعد العصر في فصل الشتاء وغربت الشمس ولم اهتد لضالتي وكانت السماء ملبدة بالغيوم والجو قارس (البرودة) .

وعندما أظلم الليل على الكون وصار من العبث البحث عن (زواملي) في ذلك الوقت لشدة الظلام وبرودة الجو خاصة وان السماء قد انهمرت بمياه الأمطار فصرت أبحث عن مأوى الجأ إليه عن المطر والبرد القارس . وإذا ببيت من الشعر عنده قطيع من الغنم فدنوت منه وندبت صاحب البيت وجاوبني بأن اتي إليه ودخلت واستقبلني بالترحاب وأوقد نار لتقيني برودة الجو القارس وليصلح عليها قهوة لي باعتباري ضيف ليل خل وفيما أنا اتحدث مع مضيفي وقد خف تساقط المطر وإذا بقطيع الغنم يتحرك مرعوبا من مراحه (مكانه) وعلمنا أنها شاهدت ذئبا آتيا إليها أو يحاول الوصول إليها لا محال . ووجهنا نظرنا للقطيع لنرى ما دهاه وإذا بي أشاهد ذئبا

ممسا كا باحداهن وتناولت بندقيتي وسددت عياري الناري إلى الذئب وعندما انطلق عيارها وإذا بالنعجة التي كان في تصوري أن الذئب ممسكا بها تسقط من أثر عياري الناري حيث أصابها في منتصف الرقبة فأغتنمها صاحبها ونحرها وبحثنا عن الذئب علنا نجده ساقطا هو الآخر ولكن دون جدوى واعتراني شيء من الخجل لم أحس به من قبل طيلة حياتي خوفا من ظنه بأني قصدت نعجته لهدف ما ولم أر الذئب كما زعمت كما أنه خالجني الشك في صحة الرؤية وسمعت من صاحبة البيت زوجة مضيفي تلميحا زادني احراجا ولكن مضيفي كان رجلا شهما رد عليها بأن اسكتي يمكن أنه ابن حموله طيبين قصرنا بواجبه ولكن أوقدي النار لنعمل له عشاء من لحم النعجة التي أراد الله أن يضيفه بها حيث قصرنا بواجبه كضيف ليل حل محتاج للطعام والماء والدفء .

وتوقد المرأة النار وتشرع في اصلاح العشاء الذي مالبث أن استوى وقدم لي وأن كنت غير راغب فيه لما أحس به من حرج أمام صااحب البيت وان لم يظهر لي أي ندم على حادثة تلك الليلة .. واستمريت مع مضيفي نتبادل الحديث فيما بيننا بعيدا عن حادثة النعجة وذئبها حتى انبلج الصبح وأدينا الصلاة المكتوبة وتناولنا القهوة ونهضت لاودعه وابحث عن (زواملي) المفقودة وإذا بي أرى ذئب ليلة البارحة ساقطا مكسوا بدمائه

أثر عيارى النارى إذ أنه أصابه وأصاب النعجة معا حيث كان الذئب ممسكا برقبتها كما شاهدته لأول وهلة . وهنا أحسست بفرحة غامرة مكسوة بنشوة من الانتصار لا توصف وقلت لصاحب البيت انظر أن الذئب قد مات أثر عيارى النارى ليلة البارحة . وعلى بعد لا يتجاوز الثلاث مائة متر تقريبا من مراح الغنم وقال مضيفى ، لقد اكتفينا شره .. وجهزت لنا وليمتك لاننا قصرنا بواجبك ولكن اعذرنا بالتقصير وتوادعنا وذهبت ابحث عن زواملى التى وجدتها بعد عناء طويل .

هبة مشروطة ولكن ؟

مرزوق المقاطى من قبيلة عتيبة شاب فى ريعان شبابه يتوقد ذكاء ويكتسى بثوب الصدق والامانة والعفة .. قست عليه الحياة مثله مثل غيره فى ذلك الوقت واتجه للكويت للبحث عن الرزق الحلال وعندما وصل الكويت صار يبحث عن العمل الذى يلائم صغر سنه وقوة تحمله ولكنه لم يفلح إذ طرق شتى الأبواب . وأخيرا يقرر الاتجاه لاعمال البحر وأن كانت هى الأخرى شاقة ومتعبة ولكن بدا لابد منه إذ كان فى ذلك الوقت تستعد البحارة لخوض عباب البحر فى موسم الغوص للبحث عن اللؤلؤ . فاتجه مرزوق لاحد النواخذة وعندما اجتمع مرزوق به قال انى جئتك لابحث عن عمل معك فقال النوخذة وهو ربان السفينة المسئول بل وصاحبها فى نفس الوقت أنك صغير السن وأعمال البحر شاقة ومرهقة لا يتحملها إلا من عركته الحياة فقال مرزوق : انظر لى أى عمل يناسبنى فانى جئت من بعيد قاصدك دون غيرك فقال النوخذة على بركة الله ستكون معنا بمهنة تباب أى فالق للمحار الذى يوجد به اللؤلؤ ويأتى به الغواصون من أعماق البحر فقال مرزوق أنا موافق على ذلك وفى صبيحة أحد الأيام

منحرت السفينة عباب البحر ببحارتها حتى إذا ما وصلوا للمنطقة المقصودة يسعون للبحث عن اللؤلؤ وعما أتو من أجله وكان مرزوق طيلة هذه الرحلة البحرية الدينمو المتحرك دون كلل أو ملل يخدم الكبير ويلبي للصغير يستجيب لأى نداء يعمل القهوة ويسكب الشاى رغم تخصص غيره فى ذلك من قبل النوخذة الأمر الذى معه زاد اهتمام النوخذة والبحارة معا اعجابا بمرزوق ذلك الصغير الذى لم يعيروه اهتماما من قبل وعندما انتهت فترة الغوص وعادوا للكويت وإذا بالنوخذة يقول لمرزوق يابنى سأعطيك هذه الأرض التى بجانب منزلى على أن تأتى بأهلك وتسكن بها حتى تكون من ضمن بحارتى فى كل عام ويوافق مرزوق من حيث المبدأ ويعد النوخذة بجلب أهله والعمل معه فى السنوات القادمة إذا أراد الله ذلك ويتواعدان مرزوق قاصدا أهله وذويه فى نجد والنوخذة بقى فى بلاده وعندما وصل مرزوق لابويه الطاعنين فى السن عرض عليهما فكرة الرحيل معه للكويت ولكنهما بادرا بالرفض المطلق والزماه بالجلوس إلى جانبهما لانه وحيدهما ورضخ للأمر الواقع ولم يعد للكويت كما قرر من قبل للوفاء بوعده للنوخذة .

ومرت الشهور بل السنون وحل عام ٧٢ هـ ٥٢ م وإذا برسالة من الكويت تصل لمرزوق المقاطى بعث بها النوخذه

يقول فيها ما معناه انني سبق وان وهبتك الأرض الواقعة بجوار منزلي بالكويت ووعدتني بأن ترحل بأهلك وتسكن بها ولكن هذا لم يحصل وحيث أن هذه الأرض قد خرجت من ذمتي لحوزتك بناء على وعدي لك والآن قد مر بها مشروع للدولة ونزع ملكيتها بمبلغ خمسة وسبعين الف .. روبية (حيث كانت العملة الدارجة بالكويت آنذاك) فما عليك إلا أن تحضر لاستلامها مني أو تهديني على ماذا أفعل بها لصالحك ويشد مرزوق رحاله لنواخذة الوفي الصادق ويستلم المبلغ ويعود لوطنه شاكر النوخذاة هذه الاريحية العظيمة التي لم يحلم بها مرزوق في يوم من الأيام ويتمنى لو أن أبويه على قيد الحياة ليشاركاه بهذا المبلغ وليته لم يتقدم به السن حتى يتلذذ بطعمها أكثر وهنا يتضح لنا مدى التزام الرجال الافاضل بكلماتهم التي يعطونها للآخرين وإلا فأن مرزوقا ليس له حق في ذلك لأن العطاء مشروط من قبل النوخذة بالعودة والسكن من قبل مرزوق

ابن عنقا بين الطمع والخوف

تجاور مسعود الدوح من قبيلة شمر مع رجل ليس من قبيلته . وكانت تلك الجيرة أيام فصل الربيع وعندما اصرم العود وشحت الأرض بزخرفها أراد جار مسعود الدوح العودة لمرابع قومه والبقاء إلى جانبهم على مواردهم الخاصة وافترق الجاران وكل منهما يحز فى نفسه الم الفراق وأثناء عودة جار الدوح فى طريقه لاقاربه اعترض سبيله رجل من قبيلة شمر يدعى ردهان بن عنقا وهو متحدث لبق وشاعر جيد قلت اعترض سبيله ابن عنقا طمعا بحصان كان بحوزته وعندما التقيا شمر كل منهما عن ساعديه ابن عنقا يريد الفوز بالحصان من يد صاحبه وصاحب الحصان يدافع عن حصانه ونفسه وأخيرا سقط الحصان على الأرض ميتا أثر عيارات ابن عنقا النارية الموجهة لجار مسعود الدوح وما كان من جار مسعود الدوح بعد أن سقط حصانه إلا أن التفت يمنه ويسره قائلا يا ردهان بن عنقا أنا جار مسعود الدوح ولابى أطماعه لك لانى بوجه الدوح حتى أصل لمرابع قومى) وهنا وقف ابن عنقا مبهوتا نادما على فعلته السوداء ويعود ادراجه قافلا لاهله ولكن تلك الفعلة لن يتركها مسعود الدوح تمر بسلام

متى علم بذلك مما حدا بردهان ابن عنقا أن يشد رحاله ويلجأ للشيخ هجر الحرباء من شيوخ شمر خشية سطوة مسعود الدوح انتقاما لجاره وما هى إلا أيام تمر ويعلم مسعود الدوح بالأمر الذى جرى لجاره مع ابن عنقا ويشد الدوح رحاله بحثا عن ابن عنقا حتى وصل لبيت هجر الحربا وإذا به يرى ردهان بن عنقا ضمن الجالسين فى مجلس الحرباء فقال مسعود الدوح من باب الاطمئنان على وجود ابن عنقا فى هذه الارض لانه لا يعلم بوجوده مسبقا لدى الحرباء قال : (اين منزل أهلك يا ابن عنقا) ولم يرد ابن عنقا على سؤاله ويكرر الدوح السؤال للمرة الرابعة ويجاوبه ابن عنقا شعرا بالابيات التالية :

منزل هلى ما بين هجر وجزاع
بلحلاحه يالدوح دون مزله

يالدوح كنى بالسما وأنت بالقاع
وحنـــا جلوس كلنـــا فوق دله

ومادام اخو بقشه يومى بالاصباع
من صوبكم ما طب قلبى مذله

وعندما انتهى ابن عنقا من أبياته تلك تدخل هجر الجرباء بقوله (تراه صادق يالدوح كأنه بالسماء وأنت بالارض ولكن بدلا من حصان جارك خذ ثلاثين حصانا واسمح تربح) فرضخ الدوح للامر الواقع وقبل الصلحة تقديرا للجرباء لا خوفا من ابن عنقا الذى تجرأ على جاره واعتدى عليه نتيجة لطمعه وجشعه .

قصة وابيات

يقال بأن راشد الخلاوى عندما طعن فى السن كان من موجوداته بندقية خاصة به وكان لهذه البندقية وقع خاص فى نفسه إذ لم تفارقه منذ صباه وعندما يئس من نفسه ولم يستطيع حملها وإصابة الهدف بها لضعف نظره وعدم قدرته الحسمية على حملها .. ونتيجة لتعلقه بها أراد أن يخفيها بدلا من بيعها أو بقائها بمنزله فى متناول أى إنسان فعمد إلى موضع ما ووضع البندقية فيه وعاد لاهل بيته وكانت زوجته حبلى فقال لها : وضعت بندقيتى فى مكان ما فان كان مولودك ذكرا فقولى له هذين البيتين وان كانت انثى فلا تخبريها بالأبيات .. فالأرض أولى بهذه البندقية من بعدى . الأبيات :

عن طلحة الجودي مواقيم روحه
وعليها شمالى النسور يغيب

وعنها مهب الهيف رجمن وفيضه
وحروري الياصار الدليل نجيب

وبعد وفاة راشد وضعت زوجته ذكرا وعندما بلغ مبلغ الرجال اخبرته والدته بالأبيات ثم ذهب إلى طلحة الحودى وهى شجرة كبيرة تقع بين الاحساء والرياض على الطريق المعروف بالحودى يعتادها المسافرون عبر هذا الطريق للراحة فى ظلها وذارها وركب من عندها على هجين وذهب إلى حيث الوصف غير أنه لم يجد شيئا ثم عاد إليها أى الشجرة وركب على حصان ولم يفلح ثم عاد إليها ومشى على الأقدام وأصاب الهدف حيث وجد بندقية والده فى دحل من دحول الصمان يعرف بأبو مرة والدحل هوة بالأرض قد تكون كبيرة جدا وقد تكون أقل من ذلك غير أن المعروف عن الدحول أنها عبارة عن متاهات وأودية وجبال واشجار وكثبان رملية كما على سطح الأرض والدحل الذى وجد البندقية فيه يقبع على جانب منه حجر كبير أبيض وهو ما يسمى بالمرو : فقال ابن راشد بعد أن أخذ البندقية لو كان والدى أضاف هذا البيت لما تعبت هذا التعب كله :

وخير الدلائل مروة فوق جالها
خيمة شريفن فى مراح عزيب

فقيل له لو قال هذا لاستطاع التعرف على البندقية الكثير من الناس وهذا ما يخشى والدك .

ثروة من البحر

هلال الديحانى من قبيلة مطير كان يعيش فى وقت على أهله أقسى من الحجر وضاقت به الأرض بما رحبت وهو رجل كبير السن ورب لاسرة كبيرة أيضا ففكر فيما يفعل لتوفير لقمة العيش الحلال لهذه الاسرة الكبيرة واسكن أهله فى بلدة حفر الباطن بعد أن ترك حياة البادية لضيق ما باليد وشد رحاله مشيا على الاقدام للكويت وما أن وصل هناك وجد أن الحالة المعيشية لا تقل سوءا عنها فى بلاده الأصلى . فما كان من الرجل إلا أن شرع بالتقاط الفصم (نواة التمر) حتى يجتمع عنده ما يطمع ببيعه بالسوق كعلف للماشية فيبتاعه بثمن بخس جدا لقلته أولا .. ولرخص الأشياء ثانيا . واستمر على هذه الحالة ردحا من الزمن لم ينل فيها طايلا وفى ذات يوم قائظ أراد أن يغتسل من ماء البحر ويغسل ملابسه وغسلها ووضعها لحرارة الشمس على الشاطىء ودخل للبحر للاغتسال وعندما خرج من الماء وعاد لملابسه وجد محارة قد قذف بها الماء على الشاطىء وكانت نقطة نهايتها عند ملابسه فتناولها وفلقها (فتحها) وإذا بها دانه كبيرة (لؤلؤة) فهرع مسرعا للسوق وعرضها للبيع بعد أن

استشار عليها أصحاب الصنف وابلغ بقيمتها التقريبية فباعها بمبلغ كبير من الروبيات حيث كانت عملة الكويت حينذاك وهنا فكر ماذا يفعل بهذه الثروة الكبيرة فاشترى (باخرة) وانضم إليه بعض البحارة ودخل بهم للغوص فى أعماق البحر بحثا عن اللؤلؤ فكانت رحلة موفقة جدا إذ استفاد منها الجميع الأمر الذى جعل أغلب البحارة المشهورين يتجهون لمحمل هلال فيما بعد عندما يحين موسم الغوص للتوفيق الذى أصابه فى أعمال البحر وعلى ضوء ذلك انتشر اسم هلال ، وعلا شأنه بين القوم وتوسعت ثروته حتى كان مضربا للمثل إذ يقول الكويتيون حتى يومنا هذا فى مناسبات ذكر رؤوس الأموال وصرفها لوعندنا خزنة هلال ومع علو شأن هلال واتساع ثروته لم يتنكر لقومه وأبناء جنسه إذ كان بابه مفتوحا على مصراعيه للضيف والزائر ولم ينكر حتى فقره المدقع ، حينذاك إذا احتفظ بالكيس الصغير الذى كان يجمع به الفصم وعلقه فى مجلس الرجال كتحفة أثرية يعتز بها وعندما قيل له لماذا تحتفظ بهذا الكيس فى مجلس يرتاده الاجناب والأصحاب قال حتى لا تغرينى الدنيا ببهرجها فأنى كلما نظرت لهذا الكيس تذكرت ما كنت عليه سابقا وحمدت الله على ما هيأ لى من طعام الدنيا الزايلة وقد زال هلال نفسه من هذه الدنيا ولكن لم يزل اسمه وذكره الطيب عند الناس .

معهم مسايري على روس الابطال
الطيب واجد مير هذي وحـــدها

قيل أن خلف الأذن أحد شيوخ قبيلة الرولة دعاه شيوخ قبيلة الدروز لزيارتهم ولبى تلك الدعوة . وعندما وصل لهم . قاموا باكرامه واشعروه بحبهم وتقديرهم له لما يتمتع به من سمعة حسنة . وفى ثانى يوم لزيارته لهم أغار على مواشيهم فرسان قبيلة معادية لهم فهبوا رجال الدروز هبه رجل واحد للدفاع عن مواشيهم وشاركهم فى ذلك ضيفهم خلف الاذن الذى رأى أنه من العيب التخلف عنهم فى وقت محنتهم حيث أبرز شجاعته وقوة مراسه أمامهم بشكل ملفت للنظر مما جعل الدروز ينظرون لخلف الاذن بمنظار أدق صورة وأكثر جدية وعندما قاربت المعركة على نهايتها أصيب خلف الاذن برجله وانكسرت ساقه ولم يثنه ذلك من مواصلة الدفاع عن مواشي مضيفيه وما أن انفصلت المعركة واستعاد الدروز مواشيهم من أيدى طامعيها حتى طلب خلف الاذن من مضيفيه ترحيله لعشيرته ليتم جبر رجله عند أهله وذويه غير أن الدروز رفضوا ذلك الطلب وفرضوا على كل رجال القبيلة أن يكون غداء خلف الاذن على اثنتان من الغنم والعشاء كذلك وان ينقلوه على نعش لمكان الوليمة فوق اكتافهم حتى لا يشعر

بالوحدة والملل وحتى يتحيون لخلف دخول كافة منازل أفراد قبيلة الدروز ليشعروه بقيمته ومدى تقديرهم له بحكم أنه ضيفهم أولا وشارك فى الدفاع عن مواشيهم ثانيا واستمروا على هذه الحال مدة ثلاثة أشهر حتى تم شفاء خلف الاذن وقام سليما معافا وطلب الاذن بالرحيل فاذنوا له وقال فى ذلك القصيدة التالية :

بين دليل البدو عبادة المـــال
واقفت رعاياهم تسابق اقعــدها

كريم يا برق سرا يشعل اشعال
بالمزنه اللى قام يرزم رعــدها

مــن وبلهــا ندفاواد المراســـال
والضلعة اللى ضاع بسمة ولدهـــا

ومنها الدميثا سيلها يركب الجــبال
وخبرا المقنع تبهج اللى وردهـــا

والبردويل الموج غادن له اشعال

وطريف ملا دوقرا مع جلدهـــا

وجدي على الشعلان وسامة الدال

أَسباب وكاف الحمر من قردها

اللى الياركبوا على كل مشوال

كم سابق بالكون عاقوا جهدها

بالله ياللى للموازين عـــدال

تفرج لرجل غاب عنها سعدها

مضالنا اهلالين واليوم بهلال

والنفس ما جاها كلام لهدها

مع لابه ما طاوعوا كل عـــذال

وافعالهم بالطيب ما حدن جحدها

في عنزيبنون الدلايل بالافعال

وبيوتهم بيض السلائل عمدها

معهم مسايبري على رؤوس الابطــال

الطيب واجد مير هذي وحدها

تبنى لهم بيضا على راس ما طال

وقبلى بفعل الخيل كل حمدها ..

من الأبيات أعلاه يتضح لنا أن وقت خلف عندما كسرت رجله فى أواخر الصيف حيث دخل فصل الوسم وهو لا يزال لدى الدروز بدليل قوله بين دليل البدو يعنى أن السحب غطت السماء وأصبح نزول المطر قاب قوسين ثم يثبت بدليل آخر بقوله كريم يابرق سراد يشعل اشعال بمعنى أن البروق صارت تتقادح فى عرض السماء بشرا بنزول الامطار ثم بعد ذلك يحدد الأودية والمواقع التى يتمنى أن تكون مكانا لهطول هذه الامطار ثم يعرج فى معناه لكسر رجله ونوعية المعاملة التى عومل بها من قبل مضيفيه .

الحكمة والشجاعة

سالم وغصين أخوين قيل أنهما من قبيلة الظفير وقيل أنهما من قبيلة عنزة وقيل أنهما من قبيلة قحطان وهذا فى نظرى الاقرب إذا نظرنا لتركيب الاسماء وان كانت الاسماء لكل الناس غير أننا نلحظ أن هناك اسما تتكرر كثيرا فى قبيلة دون أخرى بينما نجدها أقل عددا فى بعض القبائل وهذا ما جعلنى أرجح قبيلة قحطان على غيرها بالنسبة لهذين الاسمين وليس هذا المهم وانما المهم أن سالم شاب يتحلى بالاخلاق الحميدة ويتصف بالهدوء والرزانة لا يحب مشاكسة الناس. يتنازل عن الكثير من حقوقه بسبب رجاحة عقله وحبه لأفراد عشيرته الذين يضمرون له عكس ما يضمر لهم إذ لم يذكر أنه دخل فى مشادة مع واحد منهم حتى اتهموه بالجبن وعدم القدرة على مجابهة الخصم أما غصين فانه شاب شقى كثير المشاغبات والمشاكسات مع الناس ولهذا يخشون سطوته ويحسبون حسابه مما جعله مكروها لدى أفراد القبيلة ربما خوفا من سطوته وربما غيره من قدراته مما جعلهم يدبرون له مكيدة هى أن يبعثوا له أحد الصبية الصغار ليقوم بمشاغبته لكى يضربه لانه لا يتحمل الاهانة من أحد كائن من كان

وبهذا يغضب شقيقه سالم عليه ويؤدبه على الاقل أمام الناس بحكم أنه شقيقه الأكبر وفعلا ينفذون خطتهم ولم يتحمل غصين اهانه الصبي له حيث لطمه عدة لطمات على وجهه الأمر الذى انذر بوقوع مشادة لا يفصلها سوى السلاح وهذا ما تخشاه كـــل القبائل مما جعل سالم يتلافى ذلك ويؤدب غصين بالضرب وبالتالى يأمره بالرحيل دون رجعة عن مواطن القبيلة . ويرحل غصين بمفرده عن شقيقه بعد أن سطر هذه الأبيات التى يوضح فيها مكانته ومدى شجاعته وقدرته القتالية :

عزي لكم لاغبت عنكم ولا جيت

من عقب جمعاكم غديتوا اشتاتى

اضرب لكم بالسيف لا منى أَدليت

مايدب العيال ضرب القناتى

واسرح لكم بالذود لا منى الفيت

واثنى الياهجن بكم مقفياتى

غير أن غصين لم يكن ينوى برحيله هذا الابتعاد الفعلى
عن شقيقه وانما قصد به ارضائه فقط حتى تهدى الامور
وعندما غاب غصين عن انظار شقيقه وقبيلته عمد إلى نحر
خروفا ولطخ ملابسه بدمه وأهمل راحلته لكى تعود إلى أهله
وذويه بحثا عن اللايفها لان من عادة الهجن ذلك فعادت الذلول
دون غصين وما أن رآها سالم ورأى ملابس شقيقه ملطخة
بالدماء حتى ندم على فعلته واحس بمدى الخسارة والفراغ
الذى سيحدثه غياب شقيقه . أما أفراد القبيلة عندما شعروا بأن
غصين قد فارق الحياة كما يبدوا لهم من عودة راحلته والدماء
التى على ملابسه صاروا يعمدون إلى مضايقة سالم حتى انهم
لايسمحون لابله بالشرب من الماء إلا بعد أن تشرب إبل
كافة أفراد القبيلة مما زاد ألم سالم وتحسره على موقفه غير
الايجابى من شقيقه الذى فقده بين عشية وضحاها بسبب ارضا
أفراد القبيلة الذين نجحوا فى خطتهم ضد غصين . ونتيجة
لذلك أمسك سالم بالربابة وصار يردد هذه الابيات مشيدا
فيها بشجاعة غصين وقدرته الفائقة :

البارحة بالليل مانامت العين

والدمع من عينى تزايد ذريفه

قلبى تدالا به كثير الشواطين

كبر الهضاب العاتيات المنيفـــة

حملت قلبى كل هم الفراقين

والبال منى غير الوقت كيفـــه

الذود عندي له عن المأسبوعين

يحن من فرقا دلاله وريفـــــه

شره تحن وتزعج الصوت لغصين

وتجاوبه بالصوت بنت الرهيفه

واخوي لاجتنا من الربع الادنين

ارجح يعدي منكبه كل عيفـــــه

وايضا الياقالوا هل الغزو ملفين

فزيت فزة عاشق شاف اليفـــــه

وما أن انهى سالم العزف على الربابة بابياته أعلاه حتى ظهر عليه فجأة شقيقه غصين وصاح بالإبل وأوردها للما عنوة فأصاب القوم شيء من الذهول وعاد سالم لمكانته المعهودة بعودة شقيقه وخرست الألسن وقصرت اليد وانتهى الامر بالتسامح غير المشروط وصدق من قال :

من قال انا خير الملا ريحه العنا

ومن قال اناظيم الرجال يضام

قابل الاساءة بالحسنى

نداء من الرجال النبلاء كرام النفوس طيبي السريرة بعيدى النظر سليمى التفكير . كان فى فصل الربيع فى أرض مخصبة يجاوره رحيمه زوج شقيقته وفيما هما كذلك وإذا برجل من رجالات قبيلة آل قبيس يحل بماشيته عليهم لخصوبة أرضهم وقد طاب المقام للقبيسى ونصب خيمته إلى جوار نداء الذى رحب به وانزله منزلة الجار الذى يستحق الاكرام والتقدير . ومع مرور الأيام توطدت العلاقة بينه وبين نداء وصار صديقا لنداء الامر الذى جعله لا يستطيع مفارقته مما جعل نداء يغدق عليه ويأمر أهل بيته بالعناية به لانه أعزب وما أن رأت شقيقة نداء اهتمام شقيقها بالقبيسى حتى صارت تقوم برعايته ورعاية شئون منزله غائبا أو حاضرا لا لشىء إلا تقديرا لشقيقها الذى لمست منه الاهتمام به لكونه صديق وجار أرمل أى ليس فى عصمته زوجه ولم يكن نداء غافلا عن تصرفات شقيقته مع جاره القبيس مما جعله يشكر لشقيقته عنايتها واهتمامها به ويحثها على مواصلة الجهد فى خدمته طالما أنه بحاجة للمساعدة ولكن القبيس حاك فى نفسه مالم يكن بالحسبان لنداء وشقيقته حيث ظن أن شقيقة نداء

لم تقم بخدمته والعناية به إلا لأنها تعشقه وتطمع بقربه وهى التى تعيش فى عصمة زوجها وابن عمها فسولت له نفسه أن يقف على حقيقة مشاعرها نحوه وعندما أرخى الليل سدوله وكل عين شربت بللها بالنوم تسلل القبيس لبيت شقيقة جاره نداء ودلف لبيتها خلسة وهى تغط فى نوم عميق إلى جوار زوجها .

فمد يده ليوقظها من النوم عسى أن توضح له مشاعرها نحوه فوقعت يده على الزوج الذى نهض من نومه واستل سيفه وأهوى به على القبيسى وأصاب جزء من فروته التى كان يرتديها لتقيه برودة الشتاء فهلعها وهرب القبيسى تحت جنح الظلام ولجأ بنفسه لبيت نداء وأخبره حقيقة الأمر فضحك نداء وكأن الأمر لا يعنيه بشىء وقال لا تخف اذهب لخيمتك وكن مطمئن البال ولن يصيبك أى مكروه لانك جارى وصديقى وشقيقتى لا يخالجنى أى شك فى نبلها وطهرها فذهب القبيسى لخيمته وهو يعض على أصبع الندم لما بدر منه ولسان حاله يقول ليته لم يقابلنى بهذه المقابلة التى هى أشد على من القتل إذ قابل الاساءة بالحسنى أما نداء فأنه فكر مليا بأمر القبيسى ورحيمه وسمعه شقيقته واهتدى إلى رأى هو أن ينحر من غنمه خروفا ويقطع من لحمه ما كتب الله ويودعه خلسة فى بيت شقيقته وزوجها . وفى الصباح يقول

لها أنه حل عليه ضيوف آخر الليل وأقام لهم وليمة ولانكما تغطان بنوم عميق بعثت لكما بهذه اللحمة مع القبيسى لانشغالى بشئون الضيوف وبهذه الطريقة يزيل الشك عن مسار شقيقته وعن مسار القبيسى ويزيح الضغينة من صدر زوج شقيقته وفعلا ينفذ ذلك حيث يتسلل بنفسه لبيت شقيقته وزوجها ويضع اللحم داخل البيت حيث ينامان ويعود لبيته وفى الصباح يأمر على زوجته بأن تهدم البيت وتوضب العفش على مرأى منهما تأهبا للرحيل لانه لا يستطيع مفاتحتهما بالموضوع عشوائيا وما أن أطل الصباح وبسطت الشمس اشعتها على الأرض ومن فيها حتى شرعت زوجته بهدم البيت المنسوج من شعر الماشية وصارت توضب عفشها بناء على رغبة زوجها وتعليماته فشاهدت شقيقة نداء ما حدث فأخبرت زوجها وطلبت منه أن يستوضح الأمر ولماذا ينوى شقيقها الرحيل دون علمها فذهب زوجها لشقيقها نداء وسأله لماذا تنوى الرحيل ولم تخبرنا على جارى العادة فقال نداء كيف لى أن أخبرك أو ابقاء إلى جانبك وأنت من أهوى بالسيف على جارى القبيس الذى أختار جيرتى دون غيرى من الناس وهو الذى لم يكن له أى ذنب فى دخوله لبيتك فقاطعه رحيمه وقال مهلا كيف تم ذلك فاخبره نداء بأنه حل عليه ضيوف ونحر لهم خروفا من غنمه ولانشغاله بشئون الضيوف بعثت القبيسى لايصال اللحم وانه مد يده ليوقظ شقيقتى لاشعارها

بذلك فامتدت يده عن طريق الخطأ عليك فأهويت بسيفك
دون أن تعرف السبب فقال رحيمه اعتذر منك ومنه انني
لا أعلم من هو ولا لأي شيء أتى وما فعلت إلا واجبي
كرجل اعتدى على بيته خلسة أما الآن فعفى الله عن ما سلف
وأرجو المعذرة والمسامحة فعادت الأمور لمجاريها وعدل نداء
عن الرحيل المصطنع أما القبيسى فانه شعر بفداحة ذنبه وما
فعله نداء لنجاته من سطوة رحيمه وغضبه هو لانه شقيق
المرأة النبيلة فأنشد يقول :

جابتني النفس الخبيثة تقودني
كمـا تقـود بالخطام العسايف

ساقتني على من لامشت نية الردي
من غير ميعاد لها جيت حايف

وعلى مدتى يدي مسكني حليلها
وقطع فروتي باللى حدوده رهايف

وخرجت وايقنت ان هذي منيتي
جارن ضعيف ولا احدن منه خايف

وزبنت نداء والليل ثلثه ماضى

حيثه يحل المعضلات الكلايف

وتنهض وقال ابشر الياصرت معترف

وجعلها بصورة واحدن جائى ضايف

دخيلك نسيبك خايفن انه يقودنى

كما تقاد الشاه بين الولايف

وامسيت انا المطلوب واصبحت طالب

وعقب الطلب والخوف صارت خفايف

وهكذا دائما وأبدا لا يندم إلا فاعل الردى . إذ ضاقت الأرض بما رحبت على القبيسى فاستأذن بالرحيل لاحساسه بفداحة الذنب ولم يمانع نداء بالموافقة على رحيله بعد أن وقف معه الموقف الانسانى الفريد وهذه حادثة يندر وجودها بالعنصر العربى من جانبها السلبى ويتوفر جانبها الايجابى فى المعدن العربى فيما لو تتبعنا قصص الآباء والأجداد وما كانوا يفعلونه للجارو الضيف ورفيق الدرب حتى لو حصل منهم بعض السلبيات المقصودة وغير المقصودة لان الجيرة والضيافة والخوة عناصر تحول دون تنفيذ الانتقام .

الموقف النبيل

كثيرة هى المشاهد والأحداث التى تشد الانسان إليها وتفرض نفسها على مشاعره ومن هذه الأحداث ما حدث لأحد المواطنين فى جبل كرا (الهدى) بسيارته الخاصة وهو يعبر الطريق بمفرده حيث تحولت سيارته الجميلة إلى كومة من حديد أثر انقلابها وهو فى وسطها لا يشعر بماذا حدث له فى تلك اللحظة . كان ذلك فى شهر رمضان المبارك من عام ٩٩ هـ ووقتها كان يعبر نفس الطريق قادما من مكة المكرمة سمو الأمير سعود بن نائف بن عبد العزيز وهو بمفرده أيضا حيث شاهد ما حدث للمواطن وسيارته وأبت عروبته وانسانيته أن يتجاوز ذلك المواطن وهو بذلك الوضع فما كان من سموه إلا أن نزل من سيارته واتجه للمواطن المنكوب وبعد محاولات عدة من جانب سموه استطاع أن يخرج المصاب من سيارته وينقله بين يديه وعلى صدره لسيارته الخاصة وبالتالى يوصله لمستشفى الطائف وبعد أن اطمأن على أخذه للاسعافات الأولية . كتب سموه ورقة أوضح فيها اسمه وعنوانه ووجوب مراجعة المصاب له فى حين شفائه ووضع تلك الورقة فى جيب المصاب الذى ما أن شفاه الله

بعد شهرين كاملين اتجه لمنزل سموه وعرفه على نفسه فما كان من سموه إلا أن أمر له بسيارة مماثلة لسيارته المنكوبة وفوق ذلك مبلغ من المال مساعدة له وقد هز ذلك الموقف النبيل مشاعر المواطن عمير بن زبن بن عمير وصاغ هذه الأبيات عرفانا لشهامته ونخوته العربية الاصيلة وان كـــان ذلك غير مستكثر على مثل سموه الابيات :

ماهو غريب اللى فعلت انت ياسعود

مادام جدك هو بالافعال نايف

ياما فعل حتى أَصبح الفعل مشهود

وشال الثقيل وشيل غيره خفايف

وحد جزيرتنا وباثبات واشهود

تشهد جياد الخيل هن والرهايف

ويباما صمد وقت الشدايد على الكود

النادر الصارم ولا له وصايف

ويـامـا فـرج بـالمال عـن كـل مضهـود

وما راح مـا يكـثر عليه الحسايف

يـامير مجذوب على الطيب والجود

أَبـوك قبلك بين كل الطوايف

يـاما بـذل للجـود هـو كـل مجهـود

واصبح بفعله زود والاسم نايف

واليوم ياشبل الاسود انت محمود

تحمد على افعالك بالايتام رايف

جاذبك للمعروف عمان وجدود

لو كنت شب افعالك اضحت طرايف

للمجد تمشى تارك كل منقود

تصعد ولا انت براجع عنه خايف

تمشى مع الامجاد ما عنك منشود

وعن عشرة الانذال مبعد وعايف

بالامس ف شهر العبادات والزود

فى الطايف الحلوة بلاد المصايف

فوق الجبل بالهـــدي والدرب مسدود

باسباب شب صادم له حتايف

بتواضع جم عليه انت محسود

نزلت واسعفته وجرحه نزايف

ومن راس مالك جددت له يافتى الجود

واغناه مالك عن كثير الوظائف

ولك مع سواه فعول يامير واجهود

هذا سمع فيها وهذاك شايف

فعلك يابن نايف مع الناس موكود
تنشر لك البيضا على كل نايف

واجرك تبى تلقاه يامير موجود
عند الاله بدون واو وكلايف

درب المراجل اصعيبة

بطل هذه القصة خلق وخلق الفقر والعوز معه إذ عاش في وقت على أهله أقسى من الحجر عانى ما عاناه في الحصول على لقمة العيش الحلال وكان همه الوحيد أن يرزقه الله أبنا يخلد ذكره ويحفظ اسمه متى فارق هذه الحياة ولكن الله لم يهبه تلك الامنية إلا بعد أن تقدم به السن كثيرا رغم انه تزوج لاكثر من ثلاث مرات في سبيل الحصول على امنيته الوحيدة التي تحققت له بعد أن كاد ييأس من تحققها حيث ولد له ابن اسماه غريب على اسم جده وكبر الأمل عند فالح الغريب وظل يعمل في كل شيء في سبيل توفير اللقمة الحلال لابنه وأسرته واستمر على هذه الأحوال في فصل الشتاء بحارا مع البحارة لاقتناص اللؤلؤ من أعماق البحار وفي فصل الصيف يكون عاملا يعمل بيده في أعمال البناء على سبيل المثال وما مر يوم من الأيام إلا وهو ينظر لغريب نظرة الأمل والرجاء في أن يصبح غريبا في سن يؤهله لحمل المسئولية عن كاهل أبيه الذي يرى أن الزمان يشدد من قبضته عليه نتيجة تقدمه بالسن ولهذا لم يران السنين لا تمر بسرعة بالنسبة لنمو جسم غريب الذي ينتظر أن يبلغ

مبلغ الرجال حتى يجد فى كنفه الراحة بعد أن أعياه المشوار الطويل وهو ينتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر وسرعان ما وقع فالح تحت وطأة السنين إذ أصبح لا يستطيع أن يتحمل تلك الأعمال الشاقة فى البحر والبناء نتيجة تقدمه الملحوظ بالعمر ، ولكنه لم يترك العمل فى سبيل الحصول على لقمة العيش الحلال إذ افترش الأرض أمام باب منزله وأوعز لابنه الصغير بأن يجمع له من ليف النخيل ما يستطيع جمعه وينطلق صغيره يجمع الليف كرغبة والده ويدفع به اليه ليقوم بدوره بفتل هذه الألياف وجعلها حبالا يستفاد منها فى الاغراض التى تستخدم الحبال عادة لها لتدر عليه ما يسد فاقته واسرته . المهم أن يكون رزقه حلالا ليس إلا . وتمر الايام ويكبر غريب وفق مجريات الحياة الكونية وينمو جسمه طولا وعرضا ويزداد فرح فالح بابنه الذى أصبح شابا يافعا ويقول له شعرا :

غريب انا لابد لى من مغيبه

ولا بد من يومن طويلن اتعيبى

اتعب تري درب المراجـل اصعيبه

قبل ايتبين فى عوارضك شيبى

تري الولد ماريته من صحيبه

والذئب ماله صاحبن كود ذئيبى

ويسمع غريب أبيات والده ويحفظها عن ظهر قلب ولكنها تقع فى نفسه وقع الحسام إذ يمسى ولا يصبح عند أهله ويختفى وتختفى أخباره لا لاى جهة وجه ولا لاى غرض راح وينقلب الفرح لدى فالح لحزن يحز فى نفسه ويقوض مشاعره ويكثر تفكيره وبكائه وتبيض عيناه لفقدان ابنه الوحيد ويصبح كفيف البصر بين عشية وضحاها ولكن ذلك لم يثنه عن مواصلة عمله إياه . وتمر الأيام بل السنون وهو لا يعلم عن مصير ابنه الوحيد أى شيء مما أفقده الأمل بعودته بل بحياته وفى لحظة يائسة هذه انقلبت آلامه وأحزانه إلى سعادة لا يفوقها سعادة إذ عاد الابن من غربته المجهولة التى دامت خمسة عشر عاما . ولم يكن عودة عادية فقد عاد مرفوع الرأس لكثرة ماله وضخامة جاهه ووجاهه مما جعل الفرح يتضاعف لدى والده . ولكن كيف أصبح غريب من أصحاب رؤوس الأموال والجاه العريض وهو ابن فاتل الليف وبائع الحبال ؟ يقول غريب انه عندما استمع لابيات والده عرف من خلالها أن لابد له من مصاحبة الافاضل من الرجال وأن عليه أن يعمل عملا شريفا ويوفر له لقمة العيش الحلال

دون طلب العون من أحد وانطلق نحو ميناء بلاده الذى كان يرسو بها باخرة أجنبية واتفق مع ربانها أن يعمل على هذه الباخرة كدهان لها عن ملوحة المياه فى البحر واستمر مع ربان الباخرة هذه عبر البحار والقارات واطلع على حركة الناس واعمالهم وتوفر لديه ما توفر من المال خلال المدة التى قضاها على ظهر الباخرة والتى وصلت لعامين كاملين عرف من خلالهما كيف يتعامل مع الناس مما حدى به أن يعتذر من ربان الباخرة بعدم استمراريته فى العمل ويرضخ ربان الباخرة لرغبة غريب الذى فضل البقاء فى احدى المدن الكبيرة غير العربية ويتعاطى التجارة وتقبل الدنيا عليه من حيث لا يدرى .

وينقلب فقره إلى غناء ومكانته المتواضعة إلى جاه ويتذكر أبويه ويعود إليهما وهو أكبر صاحب محلات للاستيراد التجارى فى بلاده ويعيش أهله وأقاربه فى كنفه فعلا لا تأملا صغت هذه القصة للذين يهربون عن أهلهم ولا يكسبون طائلا من هروبهم سوى طائل الانحطاط الخلقى فهل نكون كأسلافنا عسى ولعل .

في غبة سوداء ولا لى مراويح

طويرش الصانع من أهالى البلد الشقيق الكويت من الذين يزاولون مهنة الغوص حيث كانت هذه المهنة مصدر رزق الكويتيين الرئيسية فهم يدخلون لاعماق البحز ويمضون فى ذلك أشهراً ويبتاعون ما يحصلون عليه من اللؤلؤ فى أى بلد يكونون بالقرب منه . وهؤلاء البحارة لا يدخلون للبحر فى موسم الغوص إلا بعد أن يؤمنوا انفسهم وأهلهم بكافة متطلبات الحياة اليومية لان رحلتهم طويلة المدى فى أعماق البحار بمعنى أن لا سوق ولا مسوقين وطويرش هذا من الذين ابتلوا بشرب الدخان . قلت ابتلوا لان شرب الدخان أو عادته اعتبرها بلوى يبلى بها أى انسان يتعاطاه . الحاصل انه بعد مضى فترة ربما تجاوزت نصف المدة التى يقضيها البحارة بالبحر أيام الغوص وجد أن دخانه قد نفذ ولم يبق سوى علبة واحدة لا تكفيه وتشبع نهمه إلا هذه الليلة ومن حسن الصدف أن جميع الزملاء فى هذه الرحلة لا يتعاطون التدخين الأمر الذى ضيق صدره وكدر خاطره حتى أنه انطوى على نفسه وذهبت بشاشة وجهه المعتاد وانتهت مداعباته لرفاق الرحلة مما حدا بربان السفينة أن يشك فى

عزلته بصفته المسئول الأول من الجميع وصار يضربها أخماس وأسداس فى ماذا دهاه وهو الرحل المتحدث اللبق مع زملائه وربان سفينته هكذا تعودوا منه منذ سنين خلت ولم تجر العادة فى انطوائه مثل هذه المرة وظن النوخذة أو ربان السفينة أن هناك من كدر صفو طويرش من الزملاء غير أن ذلك لم يحصل حيث دعاه النوخذة على أنفراد وسأله ماذا حل به . فقال طويرش بصوت مرتفع للنوخذة هذه الأبيات :

يا بو محمد دوك تتنى شلاويح
الكيس خالى والمعرفـة قليــــلة

فى غبة سوداء ولا لى مراويح
وبلازمك طالت على الطويله

ان مافزعت اليوم وقت المراويح
غديت مثل اللى رمى بالدبيله

ماله جدي كود البكى والتناويح
وفى مثل هذا ما يبرد غليله

فضحك النوخذة وقال هذا ما حدا بك أن تنطوى على نفسك وتعتزل عن مداعبة زملائك . قال نعم . فأمر النوخذة بسحب ثقالات السفينة وانطلق بسفينة وبحارتها إلى شواطىء الهند حيث كان الاقرب لهم وانزل طويرش ليأخذ ما يحتاج إليه من الدخان قبح الله الدخان قاطعا بذلك على نفسه وبحارته الحصول على مزيد من المحار الذى يوجد به اللؤلؤ ولم يأت لهذا الموقع إلا من أجله حيث هان ذلك فى نظره فى سبيل أرضاء طويرش واشباع رغبته حيث حقق ممايصبو إليه وبعد أن تزود طويرش بضالته أعاد النوخذة أدراج السفينة للبحر ليكملوا بقية المدة وقد استغرقت مدة ذهابهم وإيابهم تلك ثمانية أيام يمكن أن يحصلوا فيها على الشىء الكثير لو استمروا فى البقاء فى محلهم السابق وقيل أنهم بعد أن أرسوا سفينتهم فى موقعها الاخير حصلوا خيرا بعد ذلك وقال النوخذة لطويرش رب ضارة نافعة فى كل عام أجعل دخانك قليلا حتى نحصل على ما حصلنا عليه فى هذه السنة . سقت هذه القصة لا لغرابة فيها ولكن لتنظروا مقدار قيمة الحوى على خويه وصغر حجم المادة فى نظر هؤلاء فى سبيل أرضاء خويهم .

صدق او لا تصدق

كنت مع والدى يرحمه الله بالنفود التى تحد قرية بيان من الشمال والشمال الشرقى والمعروفة بعريق بيان نرعى ركابا لنا عددها أربع وقد اخترنا الموقع المناسب لنا ولركابنا وقمنا ببناء حظيرة من شجر (ألارطى) لغرض الذراء والتدفئة لاننا فى فصل الشتاء وعادة نجلس أو نقيم فى كل محل نحل به مدة اسبوع إلى عشرة أيام وبعد ذلك نأخذ ما يلزمنا من الحطب ونراود أهلنا بالرياض واسبوع أوعشرة أيام بالبرارى والقفار من أجل هذه الركاب . قلت أقمت ووالدى فى هذا المكان وكنت فى وقتها صغيرا جدا إذ لا يتكل والدى يرحمه الله على بأى حال من الأحوال وبأى رسالة خاصة فى وقت المساء خشية على من الخوف والذعر والهلع . وفى ذات يوم مر بنا مجموعة من الرجال على زوامل محملة بأنواع من الأطعمة قادمين بها من المنطقة الشرقية ومتجهين للمحمل على ما اذكر وكان معهم جمل مكسور فى احدى قوائمه الامامية لا اذكر تحديدها وعندما مروا بنا قال لهم والدى ما رأيكم نتشارك هذا الجمل معكم وننحره تأخذون نصيبكم منه لحما والباقى تتركونه لى وأدفع لكم الثمن الذى يخصنى فاتفق الجميع

على سعر معلوم فاتنى تحديده إلا أنه ببخس ونحروا الجمل وعندما انتهوا من سلخه وتقطيعه صار من نصيبهم ثلاث قوائم والباقى لنا وعبروا الطريق لموا صلة رحلتهم أما نحن فاننا سنقضى مدة يومين بعدهم ونعود للرياض غير أن ذلك لم يحدث إذ أصلحنا عشاءنا على شىء من لحم الجمل وبعد استوائه كان قد حل الظلام وعم الكون فأخذ والدى القدر (وعاء الطبخ) ووضعه على الحظيرة لغرض تبريده حتى يعود بركبانا التى انطلق لتوه نحوها خشية فقدانها بالليل وبعد مرور نصف ساعة تقريبا على ذهابه جلب الركاب واناخها فى مكانها المعتاد وقال أضف للنار حطبا لغرض الاضاءة والتدفئة وتناول القدر من على الحظيرة وإذا بالقدر فارغ تماما وكأنه غسل بالماء والصابون لتوه ويعلم الله أنى صادق بهذا فبهت والدى أمام ذلك الحدث وقال هل جاءك أحد أو استمعت لمرور أحد من الناس فقلت : لا وقال يمكن عشاءنا مر عليه عابر سبيل على عجل والتهمه بقصد تطمينى جزاه الله عنى خيرا ولكن سنصلح عشاء أحسن منه إن شاء الله وركبنا القدر للمرة الثانية وتناولنا ما بداخله بسلام بعد نضجه وقررنا الرحيل صبيحة الغد للرياض حتى يشاركنا أهلنا لحم الجمل كما قال والدى فى ذلك الحين .

وفى صبيحة الغد الباكر كان كل شيء على ظهور ركابنا واندفعنا بها وفيما بعد المغرب وصلنا للرياض وتحدث والدى إلى مجموعة من الرجال بحادث أكل عشائنا وقال أحدهم ويدعى محمد البراق أنه ووالدته كانا فى نفس المكان فى العام المنصرم ومر بهما ذلك الحادث نفسه . ربما يتصور البعض أن هذه القصة من نسج الخيال غير أنى أحلف بالله أنها عين الحقيقة ومن حلف له بالله فليصدق علما بأن والدى عند الصباح بحث عن أثر أى إنسان فلم يعثر على شيء وصدقوا أو لا تصدقوا .

ان كان بالدنيا قريبك يعاديك

اجتمع شملهما على سنة الله ورسوله فكانا الزوجين المتحابين المتفاهمين لفترة من الزمن ولكن هذا الوفاق لم يدم إذ اختطفت يد المنون الزوج وهو ينتظر اشراقة المولود الأول من زوجته حيث تمر بشهرها الخامس لحملها وبقيت الزوجة أرملة ولكن أملها كبير وكبير جدا فى أن يهبها الله مولودا ذكرا حتى يحمل اسم والده ويضفى عليها شيئا من الحنان والعطف ويمحو عنها الترمل التى وقعت تحت طائلة ، خاصة وأنها سترحل إلى أهلها وعشيرتها ولانها من قبيلة أخرى . وتشاء قدرة الله أن تنجب أبنا ذكرا وتسميه (جريس) بعد أن أخذت رأى عمه الوحيد على تسميته بهذا الاسم وتصر على أن تبقى أرملة على ابنها الوحيد جريس حتى لا يجرح شعوره كائن من كان مضحية بذلك بزهرة شبابها وانوثتها ولكن عم جريس شقيق ابيه يخالجه الشك فى عدم قدرة الام على تربية ابنها التربية الصحيحة وحتى لا يقال أنه تربية امرأة لان البادية تشجب مثل ذلك وأمام هذا يتقدم لارملة شقيقة المتوفى ويطلب يدها ويستطيع أن يقنعها بالزواج منه لسبب هام جدا هو أن يعيش ابنها بين أفراد عشيرته ثم

فى كنف عمه لابيه وتحت اشرافها هى وترى أن ذلك مناسبا
لها ولابنها الوحيد وفى أمل أن يأتى لجريس اليتيم الوحيد شقيق
من لحمه ودمه يساعده على متطلبات الحياة المتعددة ويقوى
من عضده ويتم الزواج بينهما لهذا الغرض ليس إلا . ومرت
السنون وكبر جريس وهو تحت رعاية وعناية عمه واشراف
أمه الأمر الذى لم يحس معه جريس باليتم والوحدة لان عمة
من النوع العطوف الحنون الصادق النية الطيب السريرة ثم
أنه يرى أن الاغداق والعطف على جريس واجب حتمى
بحكم صلة الدم والرحم من ناحية وحتى لايشعر بيتمه ووحدته
من ناحية أخرى فكان الأب والعم البار به الموفر له ما يحتاج
إليه حتى بلغ مبلغ الرجال وصار هو أى العم بحاجة ماسة
لعطف وعناية جريس نتيجة لتقدمه بالسن ونفاذ ما باليد
ولكن جريسا خيب آماله وصار يعامل عمه معاملة الغريب
البغيض لا الحبيب ناسيا تلك السنوات التى أمضاها فى كنف
عمه وابوته الصادقة فحزت فى نفس العم هذه المعاملة
القاسية من جانب الابن غير البار فقال هذه الابيات :

ياجريس اخذت امك على شان تاليك

لا جازلى زينه ولا هى اعشاقه

ياما على كتفى تعاقبن اياديك
بالمتن اشيلك مثل شيل العلاقه

ويـاما من الصيد المفلى نعشيك
واعطيك من غير الغزيزه الحاقه

واليوم اشوفك كابراتن علابيك
وجمعت مع خبث الطبائع نزاقه

اللى نبت فوق العوارض نبت فيك
لا شك جاء بين اللحى افتراقه

تيسن يـحطه والى العرش بيديك
اخير من شمشول ذود الرفاقه

وان كان بالدنيا قريبك يعاديك
مامن وري عوج النصائب صداقه

لايضاح

أفاد فى هذه الابيات إلى أنه لم يتزوج أم جريس إلا من أجل جريس نفسه ومن أجل أن يفى به جريس عندما يكون محتاجا إليه إذ لم يتزوج بها لجمالها ومالها أو الغرام حل فى قلبه نحوها ثم يذكره بأنه حمله على اكتافه من مكان لآخر لسبب ولغير سبب لانه يرى فيه الأمل الباسم وانه لم يطعمه إلا لحم الصيد وينتقى له من اللحم أفضله ويزيد فى عطائه ومبرته دونما منه ، ثم من باب الشره يقول أنك اليوم قد قد تكبرت على ونسيت أفضالى وفوق هذا جمعت بين خبيث الطبع والحمق فى معاملتك لى رغم مبلغك مبلغ الرجال بدليل اكتمال شعر وجهك وحدث منك مالم يكن بالحسبان حيث ظهر الفرق واضحا بينك وبين أخوتك هكذا يقصد ويقول لجريس أيضا أن تيسا يضعه الله فى يدك أخير من قطيع من الإبل فى يد غيرك لانه لا ينفعك إلا ما كان لك ويقول إذا كان بالدنيا أقرب الناس يعاديك فلا بعد الموت صداقة ترجى أو منفعة تأتى .

هذه القصة بعث بها من الطائف الأخ منصور بن سلامة البراق وقد صيغت بتصرف منا أشكر لمنصور اهتمامه .

ضحية الحب العذري

محيسن السرحانى انسان كسائر الناس عاش فى وقت أغلب مصادر رزقه الرعى بالإبل والغنم مثله مثل أمثاله من أبناء جلدته فهو يعمل عند هذا وذاك تبعا لمصلحته المعيشية فمن يدفع له أكثر يعمل لديه وفى أثناء تنقلاته من أناس لاخرين وقع أسير حب ابنة شيخ من شيوخ القبيلة وهى تبادله نفس الشعور أن لم تكن أكثر . وتقدم محيسن لطلب يدها من والدها عسى أن تكون رفيقة حياته ولكن مركز والدها الاجتماعى كان حائلا دون تحقيق رغبته حيث رفض طلبه بنيل يدها ولكن محيسن لم ييأس حيث كرر الطلب مرة أخرى فقوبل بالرفض وغاب فترة وعاود الكرة بوجاهة عدد من الرجال الذين طمع محيسن أن يكون لوجاهتهم التأثير على والد محبوبته ولكن ذلك لم يجد نفعا إذ فشلت المحاولة فدب اليأس فى نفس محيسن وزاد شوقه وتلهفه حتى أن صحته تدهورت تدريجيا مما حدا به أن يدلف لبيت خلف ابن دعيجا الشرارى الذى اشتهر بالشجاعة والكرم والنخوة العربية الحقة مبديا له تباريح شوقه ورغبته الاكيدة فى الحصول

على يد محبوبته بواسطة خلف على سنة الله ورسوله بهذه الابيات :

ياراكب حمرا من النى تبنى
ومرود من غير الدفوف السنامى

ترعى زهر نوار برقن جذبنى
مرباعها ما بين شرقن وشامى

وبعيونها جمر الغضا يلتعبنى
والاسراج مروطنين الكلامـى

تلفى لبيت كنه الحيـد مبنى
راعيه قطاع الفرج والمظامى

لا ياخلف يكفيك همن ركبنى
حيثك على الشدات رجلن تحامى

غشن العراق الله يجيرك ضربنى

وقام يتسوق مع مفاصل اعظامى

على وليفن بالمــودة سلبنى

سلبة عباة فى يدين الحــرامى

ولكن قاصمة ظهر البعير لدى خلف ابن دعيجا أنه على غير وفاق مع أهل محبوبه محيسن مما جعله يقول لدخيل بيته محيسن هذه الابيات التى يوضح فيها استعداده بدفع ابنه وبندقيته وبيته وإبله مقابل اعفائه من تلك المهمة التى ستدفعه لاعدائه ومن ثم يقع فى أيديهم بسهولة ويسر بسبب ضيفه ودخيل بيته الابيات :

قيفان من صدر الفهيم انهذبنى

لؤلؤ ومرجــان مــلاوي كلامى

يا راكب اللى للبــلد ما جلبنى

قطم الفخوذ معربات الاسامى

مالا فتن عنـــد أَول الذود لابنى

ولا لافتن للحضو يوم الفطامى

من نسل هرشن بالهد وله يجبنى

يطلق عليهن يوم كل ينامى

ما قيض يرعن الرمامن وتبنى

ولا صفرن قاع الجوي والوخامي

مرباعهن فيحان ثم اقتلبنى

يرعن زهر نوار عشب البوسامى

يلفن على اللى من ربوعى ندبنى

يا جــايبين العــلم دمتم ودامى

ان كان ذودي للحبيب يجبنى

دونك انياقى قد لهن بالتمامى

دونك قعود البيت والبيت وابنى
في قلة العقلا علينا حـــرامى

مع بندقن لفظات فمها يصبنى
والها على الضد المقابل مرامى

فرفض محيسن ذلك العرض المغرى وأصر على أن يحظى بجاهه ووجاهه أو بأى طريقة تعجب خلف نفسه . المهم أن ينال يد محبوبته وإلا فأنه سيفارق الحياة لا محالة ورضخ خلف للامر الواقع وغير ملابسه واكتسى بملابس بالية تدل على فقره وعوزه وضعف شخصيته وذهب لاهلها على أساس أنه يريد أن يعمل أى شيء في بيت والدها كأن يقوم بجلب الحطب والماء أو اصلاح القهوة .. ولا قدرة له في غير ذلك وكان يقصد من وراء هذا التصرف أن يختلى بمحبوبة محيسن ويخبرها ما حل به نتيجة لغرامها عسى أن تساعده على نفسها وترحل معه لمحبوبها على أن يكفل لها سلامة النية وحسن المقصد .. وفعلا يصل خلف بن دعيجا لوالد الفتاة .. وأبدى له رغبته في العمل لديه بالصيغة المشار إليها أعلاه ومكنه من ذلك واستمر خلف يعمل ليل نهار في اصلاح القهوة لضيوف مستأجره ومرت الأيام بل والشهور على خلف اثقل من الجبل

وهو لم يحصل على تلك الفرصة التى أهان نفسه وضيع مركزه القبلى من أجلها وفاء لضيفه ودخيل بيته . ولكن الله سبحانه وتعالى أفسد تلك الخطة على خلف بأحسن منها وانزه إذ غار على عرب والدها أناس يريدون الكسب من حلالهم حيث كان الكسب لا يأتى إلا بالقوة وبالسلاح وكثرة الرجال فكان النصر حليف المغيرين مما حدا بخلف بن دعيجا أن يتمنطق بسلاحه ويستوى على صهوة حصان مستأجره ويلحق بالغزاة وينتصر عليهم ويستعيد الماشية التى كسبوها من أيديهم دون أن يفقد منها أى شى .

ويعود بها لبيت مستأجره دون أن يتظاهر بما فعل وما أن دنى الليل وأرخى سدوله على الكون حتى حضر رجال النزل للتعرف على هذا الفارس الذى أعاد لهم اعتبارهم ولم يمض عليهم طويل وقت حتى استطاعوا معرفة خلف بن دعيجا وما أن عرفوه حتى وجهو اللوم عليه لاخفائه نفسه فقال خلف هذين البيتين كاعتذار وتبيان للسبب :

انا بلـون الناس وانا تبلويت

وصارت عليـه من كبار البلاوي

ذالى ثلاثميئه وخمسين مضيت
وأنا سببها عند أهلها افداوي

مفيدا إياهم أن ما حدا به إلى هذه الفعلة ابنة مستأجره التى فرض حبها على محيسن اللجوء إلى خلف بن دعيجا وأن له فى هذه المهمة عاماً كاملا فقاطعه والد الفتاة وقال لو هى شاة كان ما عشتك يعنى أن عشاءك أكبر من ذلك ولكن أذهب أنت وإياها ومعكما وكيل عنى يعقد قرانهما وأرجو أن تعذرنا يا خلف بالتقصير فى حقك ولو أن سبب تقصيرنا أنت وفى صبيحة اليوم التالى يشد خلف ومن معه الرحال يتوجهون لاهل خلف الموجود عندهم الزوج المنتظر على أحر من الجمر .. ولكن وما أصعب لكن تريد يا عبدى وأنا أريد ومالك يا عبدى إلا ما أريد إذ أن أهل خلف أتى اليهم أحد الرجال وقال انني سمعت أن خلف قد قتل فى إحد ى المعارك الحربية حيث التحم مع أحد الفرسان المغيرين على العشيرة التى يعمل عندها وكان ذلك على مسمع ومرأى من محيسن فزهقت روحه مع نهاية الخبر حيث فقد كل الامل بالحصول على محبوبته ودخلت زوجة خلف الحداد على زوجها وفى صبيحة اليوم التالى حضر خلف ومعه معشوقة محيسن فوجد أنه قد فارق الحياة فقال هذه الابيات :

البيض قلبك يا محيسن سلبنى

سلب الهوي لرهيفات الخيامى

والبيض جعل البيض ما يرتجبنى

هويهن ترما عليــه التهــــامى

يصلنى بالبيـــــر من لاجـذبنى

صل الرشا من فوق هدف المقامى

محيسن على حوض المنايا عقبنى

حمز على الجمه قليـــل الرحامى

ثم قفل راجعا بمعشوقة محيسن لاهـــلها وذويها اما هى فـــانها لم تمت ولكنها حزنت كثيرا واصابها شيء من عدم الاتزان .

الامومه الحقة التي قوبلت بالنكران

هى كسائر بنات حواء نشأت فى كنف أبويها الذين زرعا فيها حب الخير وبذل المعروف وقوة الصبر والجلادة ودماثة الاخلاق مما جعل كل من حولها يكن لها الاحترام والتقدير . وما أن نضجت أنوثتها حتى تقدم لها فتى أحلامها وأوت لمنزله الذى لايضم سواه لانه فقد أبويه منذ الصغر وعاشا كاسعد زوجان لحبهما المتبادل وتقديرهما اللامحدود لبعضهما ربما يرجع ذلك لتوافقهما بالسن وتفهمهما لمتطلبات الحياة الزوجية والدرب الطويل مما اضفى علــى بيتهما ونفسيهما السعادة كل السعادة التى تزداد يوما عن الآخرولم يمضيا وقت طويل حتى رزقا بمولودهما الأول الذى اتفقا على تسميته بأحمد.وزاد سعادتهما أكبر ولكن تلك السعادة لم تدم حيث اختطفت يد المنون الزوج أثر ألم ألم به وبقيت الزوجة أرملة وهى فى زهرة شبابها إذ لم تجاوز سن الثامنة عشر من عمرها وما أن أنقضت الفترة التى يفرضها دينها الإسلامى عليها داخل المنزل حتى توافد عليها الخطاب من كل صوب ومن كل حدب وكل منهما يطمع بأن تكون من نصيبه رفيقة لدربه الطويل ولكنها ترفض كل من تقدم لها لا لشيء إلا أن تبقى إلى جانب أبنها

الوحيد حتى لا يشعر أنه يعيش فى كنف زوجها أو أحد غيرها حتى والدها الذى طلب منها العودة لمنزله وهجران منزل زوجها حتى يكبر أبنها ويشتد عضده ترفضه هو الآخر وتصر على البقاء منفردة بابنها فى منزل والده الذى فقده وهو لا يزال فى سن الأربعين يوما الأولى من حياته وتعتكف على ماكينة الخياطة لتكتسب رزقا حلالا تقدمه لابنها الوحيد من عرق جبينها وتمر السنون ويصير الابن فى سن يؤهله لدخول المدرسة وتلحقه بها وتستمر بعملها دون كلل أو ملل ويتقدم أبنها فى دراسته وينال شهادة المرحلة الابتدائية . ويلتحق بالمتوسطة فالثانوية وهنا يتغير خط سير الابن من سىء إلى أسوأ حتى صار لا ينظر لوالدته بمنظار الاحترام والتقدير رغم محاولاتها بتوجيهه الوجهة الصحيحة ولكن ذلك لا يثمر معه شيئا إذ زاده ذلك تماديا فى معصيتها وشق عصا طاعتها . وترك الدراسة والمدرسة واتجه لعالم آخر ولوضع لا يحسد عليه وسار يتسكع من شارع لآخر ويبات خارج المنزل الليلة تلو الأخرى مما حدا بها أن تنتبه لنفسها وتعض اصبع الندم على ماضيها وترضخ للأمر الواقع وتوافق على الزواج من أحدهم لتغتنم بقية شبابها عسى أن يهبها الله مولودا يملأ عليها حياتها بالحب والحنان ويعوضها عن ذلك الابن العاق الذى ذهبت زهرة شبابها من أجله . وذهب ذلك من لدنه سدا . ويستجيب

الله لها ويهبها مولودا انثى ويتجدد الأمل فى نفسها وتكبر فرحتها بهذه الابنة التى أعادت إليها شىء من سعاتها المفقودة . وتمر السنون وتكتمل أنوثة ابنتها ويأتيها فارس أحلامها وتأوى لمنزله وبعد فترة ليست بالطويلة ينتقل والدها إلى مثواه الأخير وتبقى الأم أرملة إلا من هذه الابنة والابن العاق ... وتجلب الابنة والدتها لمنزلها بعد أخذ موافقة زوجها وتجعل من نفسها خادما أمينا لوالدتها التى فقدت والدها هى الأخرى أما الابن العاق فأنه استمر فى غيه وجهله وتنحلوا عن مصاحبته رفاق السوء وأوصدت أبواب العمل فى وجهه ووجد أن لابد له من العودة لوالدته والتمشى بما ترغبه لا ما يرغبه هو فعاد إليها راضخا لتوجيهها مطيعا لامرها واستطاعت هذه الأم أن تعيد الثقة إلى نفسه وان يلحق بركاب الذى فاته وبالتالى ينتقل بوالدته إلى منزل والده الذى هجره منذ سنين طويلة وتكتمل سعادة الأم بعودة ابنها وصلاحه ولكن ذلك لم يتحقق لها إلا بعد أن بلغت من العمر عتيا فجزى الله والدينا كل خير فانهم الشمعة التى تحترق من أجل سعادة الآخرين وأقصد بهذا الابناء وسلالتهم ومعذرة أن كانت هذه الشمعة تنطبق كمثل على السنة الغير .

ما ترجي وأحبال فالح وراها

يقال أن شخصا يدعى فالح من قبيلة عتيبة فى عصمته امرأة من قبيلته ولكن هذه المرأة لا يعجبها فالح إذ أن قلبها معلق مع غيره مما جعلها تهرب من بيته وتشق عصا طاعته وتأوى لبيت والدها فى رجاء أن يطلقها فالح مقابل هروبها ونفورها منه وتحظى هى بمحبوبها عايض العتيبي الذى كان سبب نفورها من بيت زوجها .

وطال انتظارها فى بيت أبيها ترقبا للطلاق وبالتالى الفوز بالمحبوب المنتظر على أحر من الجمر لتلك الفرصة غير أن ذلك لم يتم بسبب تعلق الزوج بها وعدم رغبته فى التفريط بها . واستمرت فى غيبتها عن بيت الزوجية ما يقارب الثمانية أعوام ولم يمر شهر أو شهران طيلة هذه الأعوام إلا ويكرر فالح طلب عودتها لبيتها ولكنها تقابله بالرفض وفاءا لحبها .

وأخيرا نما إلى فالح أنها ترفضه لتفوز بحبيبها عايض الذى ترى فيه رفيق دربها الطويل ومحقق حلمها العريض فى هذه الحياة . ويرى فالح فى نفسه أنه لابد وأن يقضى عليه حتى يصفو ويخلو قلب زوجته له وتعود لبيت طاعته . خاصة

وان عايضا بامكان فالح الانفراد به لانه من المولعين بملاحقة الصيد ويغيب عن الناس لفترة تمكن فالحأ من اللحاق به وانهاء وضعه عن طريق الغدر إذا هو أصر على انفاذ خططه غير الشريفة . فصار فالح يترقب تحركات عايض الذى تمنطق ببندقيته واتجه لارض قفر تخلو من الناس بحثا عن الصيد ولم يمض عليه طويل وقت حتى اصطاد غزالا وأوقد النار ووضع بها شيئا من صيدته وفي أثناء استمراريته بالشوى صار يتغنى بهذه الابيات :

القـــلب منى والمعــاليق تعــول
والعين جازا لها البكا من عناها

على الذي عينه كما عين مغزل
اليا شافت القناص جا من وراها

اليا جات مع خطو المخاريم تهذل
اخطا الرصاص وشافت اللى وراها

عليه قلبى بين الضلاع يجزل
اجزال دلو يوم يجزل ارشاهـــا

ولو كان له في غاية القلب منزل
ما ترجي واحبال فالح وراهـــا

وهو لا يعلم عن فالح أى شيء . وفالح هذا كان متابعا لعايض ومختبيء عنه فى مكان قريب منه ترقبا لغفلته ومن ثم الانقضاض عليه وبالتالى انهاء حياته حيث خطط لذلك .

وما أن انتهى عايض من التغنى بأبياته الشعرية حتى قام فالح من مخبئه وقال ياعايض قل والله انني لم أراك أو أعرف أنك تتابعنى ففعل فقال فالح لقد اتهمتك بتجاهلى وعدم حسابى فى قاموسك أما الآن فانى أخلى سبيل معشوقتك واتمنى من الله أن يوفق فيما بينكما ما دام أن قصدكما شريف ، وغرضكما نبيل وهنا يظفر عايض بمحبوبته وتتحقق أمال المعشوقة التى أصرت إلا أن تكون شريكة حياة عايض ورفيقة دربه الطويل على سنة الله ورسوله وهنا تظهر مدى شهامة ونبل فالح من خلال تنازله عن أقرب وأحب الناس إليه عندما عرف خليفة تعاطف الاثنين .

امرأة وموقف نبل

بعيدا عن الروتين والعمل كنت ضمن الجالسين في مجلس معالي أمير منطقة الجوف عبد الرحمن بن أحمد السديري وكان الحديث في ذلك المجلس يدور حول قصص الآباء والأجداد وكيف أنهم يعانون من ضيق اليد ومع هذا يكرمون الضيف ويجبرون المستجير لا يهمهم في هذه الدنيا إلا أن يعقبوا لانفسهم السمعة الطيبة والثناء الحسن وعبدالرحمن السديري ينقل القصة ويستمع لها ومن القصص التي شدت انتباهي تلك القصة التي أوردها معاليه . قال فيها أن والده أحمد السديري كان خارج منزله ربما كان في سوق البلدة وعندما عاد لمنزله وجد أمام باب منزله مجموعة كبيرة من الركائب مناخة فعرف أنهم ضيوف حلوا في منزله أثناء فترة غيابه وأعاد ادراجه راجعا قبل أن يرى من هم ضيوفه واتجه لمنزل التاجر الوحيد في بلدة الغاط انذاك ولم يشر لاسم هذا التاجر خشية التشهير به حسب اعتقادي . وقرع بابه وخرج إليه وقال أحمد حل على ضيوف في هذه الليلة يظهر أن عددهم كبير لكثرة ركابهم المناخة أمام المنزل وهؤلاء يحتاجون لعشاء وأتيت إليك بأمل أن تؤمن لي ما احتاج إليه

وليمة لضيوفى وإن شاء الله نسدد لك فيما بعد . فقال التاجر إذا ما معاك ما تدفعه الآن فانى اعتذر عن تلبية طلبك لان التجار يبون حقوقهم وإلا ما يعطوننا بضايعهم وانصرف واغلق الباب . وكان لمنزل هذا التاجر باب آخر يعرف بباب النساء أطلت منه زوجة التاجر وقالت يا أحمد اذهب لمنزلك وسأتيك بعد صلاة المغرب مباشرة بما استطيع حمله عسى أن يسد نوبلك فشكر أحمد لها وانصرف ناحية الجبل لتفريج بعض ما اعتلج فى نفسه وحتى يحين موعد الصلاة وعندما تسلق الجبل وانتصف فيه وإذا به يجد راحلة ساقطة من إحدى شغاياه وعليها حمل من التمر والأرز ولا تستطيع التحرك لانها فى مكان ضيق فاندفع إليها وانزل حملها واستاقها لمنزله ونحرها وأرسل من أرسل لجلب الحمل وجهز وليمته وقدمها لضيوفه وسد الله عوزه أما زوجة التاجر فانها وفت بوعدها وجلبت لمنزله شىء من الجريش والتمر وعدد من الريالات لتكون ثمن الذبيحة وعادت لمنزلها واحتفظ أحمد لها بمعروفها وفضلها وصار يغدق عليها عندما وسع الله فى رزقه حيث كان لا يجد من حطام الدنيا شيئا مثله مثل أهل نجد فى تلك الفترة . ويواصل عبد الرحمن يقول ولا زلنا نحن أبناء أحمد نواصل هذه المرأة عرفان بجميلها على والدنا حتى يومنا هذا وأن كان ما فعلته مقابل ثمن ولكنها قضت الحاجة التى قضا الله فى حينه هكذا قال عبد الرحمن السديرى

فى أثناء حديثه وهو من الرجال الثقات وأعرف أنه لا يحب التمجيد والاطراء ولكن لطرافة القصة رويتها وان كان فيها نقصا فهو منى وأرجع هذا لذاكرتى حيث استمعت لهذه القصة منذ تسع أو عشر سنوات وعلى العموم فهناك وفاء من جانب الابناء لاصدقاء الاباء .

عرض نفسه للموت في سبيل حبه

ماجد شاب وسيم هادىء الطباع قليل الكلام . يبتسم للقريب والبعيد معا يحبه كل من عاشره لصفاته الحميدة . واخلاقه العالية . يسرح بقطيع من الغنم كعادة أبناء البادية ويعود بها لبيت أبويه عندما تنحجب الرؤية لغروب الشمس كأمثاله من رعاة الغنم .

يلتقي ماجد باحدى بنات حواء ويحبها حبا جما لانه رأى فيها كل الصفات الحميدة طيلة معرفته لها التى قاربت الآن سبعا من السنين وهو يلتقى بها يوميا حيث يرعى شويهاته وترعى هى الأخرى شويهاتها بهذا المرعى الخصب ويجلس الحبيبان فاصلا بين الشويهات عن الاختلاط ببعضهما يتجاذبان أطراف الحديث الذى لا يدور بينهما بساسف الامور والغمز واللمز باعراض الناس إذ أنه حديث الحبيب لحبيبته ويتفقان بل يتعاهدان على الزواج من بعضهما . وتمر الايام ويثبت ماجد لحبيبته صدق نيته وصدق مشاعره نحوها ويتقدم لخطبتها ويوافق أبواها مبدئيا على زواجهما .

ولكن ما أن علم ابن عمها فارس بتلك الخطبة حتى أتى لابويها وأبلغهما أنه يريدها لنفسه ولا يسمح بتزويجها لغيره وان هم أقدموا على تزويجها لماجد فانه سيفعل فعلته التى سيفارقان الحياة بسببها . ويرضخ أبويها للأمر الواقع لان مثل هذا يحدث فى كل القبيلة بل فى كل القبائل الأخرى وتلتقى منيرة بحبيبها ماجد كجارى العادة بعد أن علمت باحتكارها من قبل ابن عمها فارس وتبثه شكواها والدموع تنهمر من مقلتيها كما ينهمر الودق من السحاب ويصمت ماجد برهة من الوقت يستعيد فيها أنفاسه ثم يقول لا تحزنى يا منيرة سأستعين بمجموعة من الرجال الذين يؤثرون على فارس عسى أن يتوسطوا بالموضوع وينحل نتيجة وجاهتهم . ويبدأ على وجه الفتاة شىء من السرور ترقبا لهذا الامل غير المؤكد نجاحه . ويتحرك ماجد بجدية مع والده بزيارة كبار القوم ويطلبون منهم التوسط لدى فارس بترك سبيل ابنة عمه وشأنها ولكن فارس لم يلب وجاهة هؤلاء ويصر على رأيه العنيد ويعود ووالده صفرى اليدين ويتجرع ماجد ويلات الحرمان وعذاب الحب الذى لم يتحقق وتمر الأيام ويأتى فارس لعمه والد منيرة لافادته بعزمه على الزواج من منيرة ويحدد تلك الليلة وتعلم منيرة بذلك وتقول لوالدها بالحرف الواحد والله إذا أنت جمعتنى بفارس أن أهرب واختفى عن انظاركم ولا ترونى أبدا وبالطبع مثل هذا الاجراء من

منيرة يعرض والدها للعار والسمعة غير الحسنة اضافة إلى أن منيرة عند أبويها هى كل شىء فى هذه الحياة مما حدا به ان يقول لها لن يأخذك فارس مالم توافقى على الزواج منه وترد منيرة على والدها انى أفضل الموت على زواجى بفارس ويؤكد لها والدها بقوله والله لن يأخذك مالم توافقى ولكن لن تتزوجى بماجد مالم يتنازل فارس عن طلبك وتقول منيرة سأظل حتى الموت بدون زوج ولسان حالها يقول :

مابين طـرفه عين وانتباهتـها
يغير الله من حـال الى حـال

وتمر الليالى والأيام على ماجد ومنيرة وهما يترقبان الفرصة التى تحقق لقاؤهما على سنة الله ورسوله ويدب بهما شىء من اليأس ولكن كلما ذكرا العهد الذى قطعاه لبعضهما هدأ روعها وانتظرا اللقاء المرتقب . وتدور الأيام دورتها ويتجه القوم جميعا للسكن على موارد المياه لان المواشى بحاجة ملحة لشرب الماء يوميا حيث فصل الصيف وقساوة جوه . وفى مجلس من مجالس القوم يلتقى فارس بماجد ويقول فارس ياماجد إذا أنت طلعت هذا الجبل الشاهق وانطلقت من قمته للارض فانك لمنيرة . وفارس يريد بذلك أن يقضى على حياة ماجد حتى يخلو قلب منيرة له وحده ويفوز بها ويرد ماجد

على فارس بقوله أشهدوا أيها الحضور على ماقاله فارس ويقول الجميع شهدنا وينطلق ماجد لقمة الجبل الذى يبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض فى تقديرى الشخصى بحوالى ألفى قدم ونيف .

وينطلق من هذا الجبل طرف كأنف الانسان يشكل حدا للجبل من الناحية الجنوبية الغربية وما تحته أرض سوداء منبسطة كراحة الكف وهذا الجبل هو ما يعرف بخشم العرمة المطلة على الخفس يقع يمين المتجه من الرياض إلى المجمعة عبر طريق سدير الحالى بمسافة تقدر بعشرين كيلو متر إلى الشرق عن الطريق العام . انطلق ماجد مسرعا حتى استوى على دلك الطرف وانطلق بنفسه وإذا بملابسه تتعبأ من الريح وتكون له كالمظلة التى يهبط بها رجال المظلات ويصل ماجد للارض بسلام بقدرة قادر ويفوز بيد منيرة التى رفضت كل التهديدات والمغريات من فارس فى سبيل حبها الوحيد .

اسند على الرجال والا الجبال

حدثني شعيب بن ناصر العريدى يقول فى إحدى السنوات جرت معركة حربية بين قبيلتى مطير والظفير هزم فيها من هزم وانتصر فيها من انتصر وعندما انتهت المعركة وافترق الطرفان أتى إلى المعارة رجل من الجميل من قبيلة الصلبة عله يجد شيئا يستفيد منه فى مكان هذه الوقعة وعندما كان يسير وينظر يمينا وشمالا وإذ بنظره يقع على رجل من رجال مطير يدعى دغيم بن نويزح من العبيات مصاب فى إحدى قوائمه بعيار نارى فدنا منه الجميلى وحمله على راحلته حتى أوصله لبيته وعمل له الجباير اللازمة وأوصى زوجته بالاشراف عليه والعناية به وصار كل يوم يتناول بندقيته ويذهب للبحث عن الصيد ويأتى بما كتب الله ويقدمه لضيفه ومريضه فى نفس الوقت بنفس راضية حتى تم شفاء دغيم المطيرى تماما وتوادع مع الجميلى بعد أن عرفه على نفسه وقبيلته وقال له بالحرف الواحد اذكرنى عند الحاجة وذهب فى سبيله ومرت الأيام بل الشهور والسنون ووقع الجميلى وزوجته تحت طائل العوز والفقر وتقدم بهما السن كثيرا فتذكرا وصيته بأن اذكرانى عند الحاجة فقربا راحلتهما

واتجها إلى حفر الباطن لانه من موارد قبيلة مطير ويمكن أن يجدا خبرا عن صاحبهما عن طريق القانطين على هذه المأرد (المورد) . ذلك فى فصل الصيف حيث تجتمع العربان على المياه لغرض سقى مواشيهم وانفسهم وما أن وصلا لحفر الباطن الذى أصبح الآن مدينة من مدن المنطقة الشرقية الشمالية حيث أمتدت له يد الاصلاح حتى أصبحت على مثلث تحسد عليه إذ يمر عبر طريقها القادم من سوريا ولبنان والاردن وتركيا من ناحية والعراق وإيران والكويت من ناحية ثالثة فهى بحق نقطة الوصل لهذه الدول . المهم أنهما وصلا لحفر الباطن وسألا عن دغيم العبيوى المطيرى ووجدا أنه من القانطين على الحفر حيث اهتديا إلى بيته وعندما وصلاه وسلما عليه عرفاه بنفسيهما فأستقبلهما استقبالا حارا ونحر لهما عددا من الحراف كوليمة لهما جمع عليها أغلب أفراد عشيرته الذين يقطنون على حفر الباطن وما أن اجتمع الجميع على الوليمة قال دغيم اسمعوا ياجماعه أن هذه الوليمة لفلان الجميلى من قبيلة الصلبة وهو الرجل الذى انقذ حياتى فى عام كذا وفى مكان كذا والآن أتى إلينا تحدوه الحاجة وصاحب الجميل لابد أن يرد عليه جميله وما عليكم الآن إلا أن تقدموا لى العون بمساعدته عسى أن نوفر له ما يغنيه عن الغير ويقضى حاجته وما أن سمع الجميع تلك الكلمات من دغيم حتى قالوا بلسان واحد إذا أصبحنا أفلحنا وما كاد الصباح

يطل على الكون حتى أحضر كل منهم نعجة لدغيم المطيرى حتى تكون لديه مائتان وخمسون نعجة وكان لدى دغيم لخاصته مائة نعجة اقتطع منها النصف وأضافه للنعاج المقدمة له من جماعته ودفع بها للجميلى الصلبي وقال لدى ستة من الجمال سيكون لك منها ثلاثة أيضا لغرض نقلك من مكان لآخر فاذا رغبت البقاء عندنا فلا تعتبرنى إلا ابن لك تكلفنى بما تشاء وان أردت العودة لاهلك وذويك فانت صاحب الاختيار ولا تعتبر هذه نهاية لعلاقتنا فنحن رهن اشارتك متى احتجت إلينا وما كان من الجميلى إلا أن شكر لمضيفه هذه الاريحية الطيبة والوفاء الصادق واختار البقاء إلى جانبه حتى وفاة أجله المحتوم وهو محل تقدير وعطف دغيم المطيرى وقبيلته وانتهى الجميع وبقيت هذه القصة ثابتة ما ثبت الزمن لاثبات مدى أصالة العربى وكرمه ونبله .

نباهه ووفاء

فى إحدى السنوات كنا باهلنا فى النفود المعروفة بالدهنا وكان لدينا قطيع من الغنم وعدد ست من الإبل – الركاب – تقلنا من مكان لآخر عندما نريد الرحيل تبعا لرغبات ماشيتنا وفى نفس الوقت نجلب عليها حاجياتنا من ماء وطعام إذ أنها وسيلة النقل الوحيدة لدينا فى ذلك الوقت وفى أحد الأيام غربت الشمس وفات علينا سهوا أن نجلب ركابنا لمكانها المعتاد أمام بيتنا المنسوج من شعر الماشية وحان موعد صلاة المغرب فهب والدى يرحمه الله لاداء الصلاة المكتوبة . انطلق بعدها للبحث عن ركابنا التى غيرت مكان مرعاها دون أن ننتبه إليها وحال الظلام بيننا وبينها وبعدمرور حوالى الساعتين من ذهاب والدى للبحث عن ركابنا عاد إلينا دون أن يهتدى إليها أو لا ثرها الذى يمكن أن يقتفى ويدل عليها أو على ناحية اتجاهها وقال انى لم أجد الركاب وسأعود للبحث عنها ولكن بعد مرور ساعة أو ساعتين على ذهابى أوقدوا النار على قمة الطعس (مرتفع من الرمال) الذى بجانبكم وهو يبعد عنا حوالى مائتى متر تقريبا حتى لا اتيهكم فى هذه الليلة المظلمة والأرض المتشابهة الملامح وذهب لتوه وكان عندنا

كلب اليف انطلق من عندنا هو الآخر فى لحظة ذهاب والدى
للبحث عن الركاب وظننا أنه عانق والدى فى مشواره هذا
غير أن ذلك لم يحدث ومضى ما يقارب الساعتين على ذهاب
والدى وكلبه فقمنا بتنفيذ ما أمرنا به وأوقدنا النار على قمة
الطعس عسى أن يأتى إلينا والدنا على ضوء اشعتها وإذا بكلبنا
يأتى ويحرك ذيله ويهمهم ويعود مع طريقه الذى أتى منه ولم
يتبعه أحد منا على أساس أنه أتى من والدنا وسبقه علينا ولكن
الكلب يعاود هذه الحركات مرات ومرات وتقول والدتى
أن كلبكم قد شاهد شيئا غريبا فأتبعوه فتبعته بصفتى أكبر
الأولاد سنا وسار أمامى حتى وصل لمكان ركابنا التى ننخيها
فيه كل ليلة أمام بيتنا وإذا بركابنا موجودات به فانختها
وعلقتها وعدت لوالدتى واخوتى الصغار على قمة طعسهم
وأخبرتهم بأمر الكلب الذى أتى لتوه وبسط ذراعيه على مقربة
منا وترك حركاته السابقة وخلد للراحة فأمرتنى والدتى أن
أنادى بأعلى صوتى على والدى الذى مضى عليه الآن ما يقارب
الساعتين والنصف ففعلت وبعد مرور حوالى ساعةعلى مواصلتى
للنداء حضر والدى واخبرناه بما فعل الكلب . وقال أنه هو
الذى جلبها لانه فهم منى ماذا أقول لكم عندما أردت البحث
عنها وأصبحنا وأتينا ركابنا لاطلاق عقلها حتى يتسنى لها
الرعى بالفلاة كجارى العادة وعندما نظرنا لعراقيب ركابنا
(موخرة أرجلها) وإذا بنهشات الكلب واضحة فيها حيث

استاقها عنوة حتى أوصلها لنا واقتفينا أثر الركاب عندما أتى إليها الكلب ووجدنا أنها تبعد عن موقعنا ما يقرب كيلولين من المتر وعلى ضوء ذلك زاد اعجابنا وزاد تمسكنا به وصدق من وصف الكلاب بالوفاء .

ثم تذكر رفيق الدرب

كان الأمن والاستقرار لم يسود هذه البلاد وكان السلب والنهب أعمال مستباحة لدى الناس إلا أن المعروف والشيمة لم ينعدما من الرجال الافاضل وفى أثناء ذلك ترافق كل من مبارك النفيعى من قبيلة عتيبة وعبد العزيز بن نصار من أهالى ضرما فى رحلة متجهين للاردن وسوريا لغرض طلب الرزق وفى أثناء سيرهما اعترض سبيلهما أناس طمعوا بهما وهما على راحلتهما الوحيدة واطلقت العيارات النارية بين الطرفين سقط على أثرها عبد العزيز بن نصار مكسور الرجل اليمنى وسقطت الراحلة ميته واستمر مبارك بالدفاع عن نفسه . وانقضت المعركة وهنا وقعت الطامة الكبرى على مبارك النفيعى الراحلة فارقت الحياة وعبد العزيز مكسور الرجل اليمنى والمسافة بعيدة لا ماء ولا طعام حولهما والبقاء عند الكسير مضيعة للوقت بالاضافة إلى خطورة حياة السالم فقال مبارك يا عبد العزيز كيف الرأى ؟ قال أذهب بنفسك عن الموت ان استطعت أسعافى فيما بعد فلا بأس وأن لم تستطع فانت معذور أمام الله والناس لانه شيء خارج عن أرادتك . فقال مبارك من العيب على أن انجو بنفسى لتكون فريسة

للسباع فى هذا الموقع الذى لا يوجد به ماء ولا كلا ولكنى سأنقلك على اكتافى حتى يصير ما كتب لنا الله ويرفض ابن نصار هذا الرأى خوفا على سلامة مبارك ولكن مبارك يصر على رأيه وينقل صاحبه لمدة خمسة عشر يوما لم يجد من يأوى إليه وفى صبيحة اليوم السادس عشر وجد بيت من الشعر لاحد رجال الحويطات لا يحضرنى اسمه ووضع زميله عنده وجبر رجله من جديد تجبيرا بدائيا وفى كل صباح يتناول مبارك بندقيته للبحث عن الصيد ويأتى بما يقسم الله لرفيقه ومن يقيم عندهم ويستمر على هذه الحالة حتى شفى صاحبه بعد مرور أربعين يوما . ويعودان إدراجهما مشيا على الاقدام حتى وصل كل منهما إلى أهله فى نجد . وتمضى السنوات . وتتابع الدهور على الناس وتجدب الارض وينفذ كل ماعند مبارك من الماشية وتنتقل زوجته إلى رحمة الله مخلفة له أربعة من الأولاد أكبرهم فى سن السابعة وتضيق الأرض بما رحبت على مبارك وأخيرا يهتدى إلى رأى هو أن ينقل الأولاد لعبد العزيز ابن نصار بضرما ويبقيهم تحت اشرافه ويذهب للبحث عن الرزق ويشد رحاله ويصل لعبد العزيز بضرما الذى ما أن رأه حتى بادر باجهاز الوليمة التى تليق بمقامه كصديق ورفيق شده وبعد تجهيز ذلك اجتمع عبد العزيز بمبارك يسأله عن حاله وما آلت إليه ويخبره مبارك بما حدث له ويصمت عبد العزيز قليلا ثم يقول لصاحبه أن الدنيا بسيطة

تجى وتروح ولا تهتم منها . وعندما احضر العشاء عبد العزيز
وحضر المدعوين لتناوله كان من ضمنهم أحد رجال الدين
الموثوق بهم والذى قال له عبد العزيز ياشيخ انى قد تزوجت
ابنتى فلانه على مبارك هذا الجالس معنا فأكتب بينهما ومبارك
لم يعلم من ذلك ولم يخطر بباله غير أنه قبل بهذه الزيجة
ودخل بها من ليلته وفى الصباح عرض عبد العزيز حائط نخله
للبيع وباعه بمبلغ عشرين ريالا فرانسياً حيث كانت العملة
انذاك وكانت فى ذلك الوقت تساوى الشىء الكثير وسلمها
لمبارك النفيعى بالاضافة لابنته التى زوجها إياه دون أى مقابل
اللهم إلا القبول والايجاب . بقى أن تعرف عزيزى القارىء
أن مبارك وزوجته الآن على قيد الحياة وقد انجبا ويعيشان
بوفاق تام أما عبد العزيز فقد توفى يرحمه الله ولم يخلف
سوى هذه البنت والسمعة الحسنة وهذا المهم .

الفهـــــــرس

الموضوع	الصفحة



تصدر عن

الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

إدارة الثقافة

هاتف : ٤٧٧٩٠٥٩

ص.ب ٣٦٥٩ - الرياض